في
محراب
صحابي
د. نشوة أحمد علي
دار البشير

في
محراب
صحابي

الطبعة الأولى
1442 هـ
2021 م

اسم الكتاب: في محراب صحابي
التأليف: د. نشوة أحمد علي
موضوع الكتاب: إسلامي
عدد الصفحات: 232 صفحة
عدد الملازم: 14.5 ملازم
مقاس الكتاب: 14x20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2021 / 1926
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 278 - 840 - 8

elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

في محراب صحابي

د. نشوة أحمد علي

دار البشير للثقافة والعلوم

إهـــــداء

إلى هؤلاء الذين عجّ القلبُ بعشق سِيَرِهم مرّتين؛ مرةً لأنّهم **أصحابُ الحبيب**، ومرّةً لأنّهم هُم. وضجّت الأمنياتُ بشوق للقياهم، وتطيبُ الروح لمجرّد ذكراهم.

إليكم، **صحابةَ رسولِ الله**، أهديكم كتابي (**في محرابِ صحابي**)، الذي هو غيضٌ من فيْضِ مَناقبكم، رضي الله عنكم، وأرْضاكم.

الكاتبة/ د. نشوة أحمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا. مَن يهدِه اللهُ فلا مضلّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له. وأشهدُ أن لا إله إلّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أنّ محمدًا عبده ورسوله..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

سنلتقي **"في محراب صحابي"** متذكّرين سويًّا بعضًا من مواقفه ومناقبه؛ علَّنا نقتدي بها، وتكونَ لنا هديًا تهدينا إلى طريق الرّشاد في زمن الفتن، ولعلّها تغْرينا- وإيّاكم- لمحاولةِ الاستزادة من سيرته العطرة- رضي الله عنه- جعلَها اللهُ في موازين حسناتنا وحسناتكم، جمعنا اللهُ وإياكم في الفردوسِ الأعلى من الجنات، يا ربّ العالمين.

أدْعوكم لتعيشوا بقلوبكم وعقولكم، وجميع جوارحكم معَ مجموعة من المواقفِ العظيمة لمجموعةٍ من صحابة **رسول الله** ﷺ.

***

[١]

الصّحابي الجليلُ العتيق
"أبو بكر الصّديق"
- رضي الله عنه- وأرضاه

كلّنا نعلم قصةَ تصديقه لرسول الله -ﷺ- بعد ليلة الإسراء والمعراج، حينما كذّبه قومه، ونعلم بأنّه كان ثاني اثنين إذْ هما في الغار، ومواقفه ضدّ الردة بعدَ وفاة رسول الله ﷺ، وغيرها الكثير والكثير...

وإليكم موقفٌ يبيّن مكانته عند رسولِ الله ﷺ:

جاء في صحيح البخاري عنْ أبي الدرداء، قال: كنت جالسًا عند النبي - ﷺ - إذ أقبل **أبو بكر** آخذًا بطرف ثوبه، حتّى أبدى عن ركبته، فقال النبيُّ ﷺ: أمّا صاحبكم، فقد غامر (أي خاصم، أو دخل في خصومة)، فسلَّم وقال: يا رسول الله، إنه كان بيني وبين ابنِ الخطاب شيء، فأسرعتُ إليه ثمّ ندمت، فسألتُه أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلتُ إليك. فقال: يغفر اللهُ لك يا **أبا بكر** ثلاثًا، ثمّ إنّ عمر ندم، فأتى منزلَ أبي بكر فسأل: أثمّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى النبي - ﷺ- فجعلَ وجهُ النبي - ﷺ- يتمعَّر (أي يتغير غيظًا وغضبًا)، حتّى أشفق **أبو بكر**، فجثا على ركبتيْه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرّتين، فقال النبي - ﷺ-: إن الله بعثني إليكم فقلتُم: كذبتَ، وقال **أبو بكر**:

صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتُم تاركوا لي صاحبي؟! مرّتين، فما أوذي بعدها.

ترى مَن يكون هذا الرجل الذي بلغ حبُّه في قلب رسول الله مبلغَه؟

وهذا موقفٌ آخر سأتركه ليتحدّث إليكم عن رقته- رضي الله عنه- وأرضاه: فقد روي في السيَر عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: كنت أفتقدُ أبا بكر أيامَ خلافته ما بين فترة وأخرى، فلحقته يومًا فإذا هو بظاهر المدينة- خارجها - قد خرج متسللًا، فأدركتُه وقد دخل بيتًا حقيرًا في ضواحي المدينة، فمكثتُ هناك مدّة، ثمّ خرج وعادَ إلى المدينة، فقلت: لأدخلنّ هذا البيت، فدخلتُ فإذا امرأة عجوزٌ عمياء، وحوْلها صبيةٌ صغار، فقلت: يرحمك الله يا أمَةَ الله، مَن هذا الرجل الذي خرج منكم الآن؟ قالت: إنه ليتردّد علينا، ووالله إنّي لا أعرفه، فقلت: فما يفعل؟ فقالت: إنّه يأتي إلينا فيكنسُ دارنا، ويطبخُ عشاءنا، وينظّف قدورنا، ويجلب لنا الماء، ثمّ يذهب. فبكى عمر حينذاك، وقال: الله أكبر، والله لقد أتعبتَ مَن بعدك يا أبا بكر.

لمّا دخل رسول اللّه- ﷺ- دار الأرقم؛ ليعبد اللّه، ومن معه من أصحابه سرًّا، ألحّ **أبو بكر**- رضي اللّه عنه- في الظهور، فقال النبي- ﷺ-: يا أبا بكر، إنا قليلٌ. فلم يزلْ به حتّى خرج رسول اللّه- ﷺ- ومَن معه من الصحابة رضي اللّه عنهم، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا، ورسول اللّه- ﷺ- جالس، ودعا إلى رسول اللّه- ﷺ-، فهو أوّل خطيبٍ دعا إلى اللّه تعالى.

فثار المشركون على أبي بكر- رضي الله عنه- وعلى المسلمين يضربونهم، فضربوهم ضربًا شديدًا، ووُطئ أبو بكر بالأرجل، وضُرب ضربًا عنيفًا.

صار عُتْبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعليْن مخصوفتين (أي مخروزة أو مخاطة)، ويحرفهما إلى وجهه، حتّى صار لا يُعرف أنفُه من وجهه، فجاءت بنو تيم يتعادَون، فأجْلت المشركين عن أبي بكر إلى أن أدخلوه منزله، ولا يشكُّون في موته، ثمّ رجعوا، فدخلوا المسجد فقالوا: والله لئن ماتَ أبو بكر لنقتلنّ عتبة، ثمّ رجعوا إلى أبي بكر، وصار والده- أبو قحافة- وبنو تيم يكلّمونه، فلا يجيب حتّى آخر النهار، ثمّ تكلّم وقال: ما فعل رسولُ الله ﷺ؟ فعذلوه، فصار يكرّر ذلك، فقالت أمه: والله ما لي علمٌ بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أمّ جميل فاسأليها عنه، وخرجت إليها وسألتها عن محمد بن عبد الله، فقالت: لا أعرف محمدًا ولا أبا بكر، ثمّ قالت: تريدين أن أخرجَ معك؟ قالت: نعم... فخرجت معها، إلى أن جاءت أبا بكر فوجدته صريعًا، فصاحت وقالت: إنّ قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق، وإني لأرجو أن ينتقمَ الله منهم، فقال لها أبو بكر- رضي الله عنه-: ما فعل رسولُ الله ﷺ؟ قالت: هذه أمّك، قال: فلا عَيْنَ عليك منها، أي أنّها لا تفشي سرّك، قالت: سالمٌ، هو في دار الأرقم.

فقال: والله، لا أذوق طعامًا، ولا أشرب شرابًا، أو آتي رسول الله.

قالت أمه: فأمهلناه حتّى إذا هدأت الرِّجل، وسكن الناس، خرجنا به يتكئ عليَّ، حتّى دخل على رسولِ اللّه ﷺ، فرقَّ له رقةً شديدة، وأكبَّ عليه يقبّله، وأكبّ عليه المسلمون كذلك.

فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول اللّه، ما بي من بأس إلّا ما نالَ الناس من وجهي، وهذه أمّي برة بولدها، فعسى اللّه أن يستنقذها من النار، فدعا لها رسولُ اللّه- ﷺ- ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت.

وبعدَ وفاة رسول الله- ﷺ- أمر أبو بكر الصديق بإنفاذ جيشِ أسامة الذي عقد لواءه رسول الله في آخر حياته، وأمره أن يتجه إلى الشام لحرب الروم، فيأتيه الصحابة يراجعونه في ذلك؛ لمّا رأوا ردّة العرب، فيجيب أبوبكر بحزم وثبات: والله، لو علمتُ أنّ السباع تجرّ برجلي إنْ لم أرده، ما رددتُه، ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله- ﷺ-، ويأتيه عمر- رضي الله عنه- يقول عن الأنصار: أمروني أن أبلّغك، لو وليتَ أمرَ الجيش مَن هو أقدم سنًّا من أسامة؛ حيث كان أسامة قريبَ الثماني عشرة سنة، فوثبَ أبو بكر وكان جالسًا وأخذَ بلحية عمر، وقال: ثكلتك أمّك، وعدمتك يا ابنَ الخطاب، استعملَه رسولُ الله- ﷺ- وتأمرني أن أنزعَه؟! وأمرَ بالجيش، فجمع، وأوصاهم بوصاياه العظيمة في الحرب، وركبَ أسامة فرسه، وأبو بكر- رضي الله عنه- تحت عنقِها يمشي معه يودّعه ويوصيه، فقال له أسامة: يا خليفةَ رسول الله، والله

لتركبنّ أو لأنْزلن، قال: والله لا تنْزل، ووالله لا أرْكب، وما عليّ أن أغبّر قدمي في سبيل الله ساعة.

وأيضًا، أثناءَ حرب المرتدّين، يومَ أن فرّقوا بين الصلاة والزكاة، والصحابة يراجعونَ أبا بكر، وعمرُ يأتيه ويقول: علامَ نقاتلهم؟ دعْهم ما أقاموا الصّلاة. وأبو بكر يرفض، ويجأر (أي يرفع صوتَه بالحق) بأعلى صوته: لأقاتلنّ مَن فرّق بين الزكاة والصلاة، ولو منعوني عقالَ (حبل) بعيرٍ كانوا يؤدّونه لرسول الله- ﷺ- لقاتلتُهم عليه، ومضى جيشُ المسلمين لحرب المرتدّين كما أراد أبوبكر، ويعود مظفرًا منصورًا، فما كانَ من عمر بعدها إلّا أنْ قبّل رأس أبي بكر، وقال: وجدتكـ واللهـ أحسمَ منّي، وأمضى.

قال رسولُ اللّه- ﷺ-: "لوْ كنت متّخذًا خليلًا لاتّخذت أبا بكر خليلًا".

***

[٢]

ثاني الخلفاء الراشدين
"عمر بن الخطاب"
- رضي الله عنه- وأرضاه

دعونا نبدأ بقصّة إسلامه:

ففي يومٍ من الأيام، قرّر عمر بن الخطاب قتلَ سيدنا محمد، فسنَّ سيفه، وذهبَ لقتله -ﷺ-، وفي طريقه وجدَ رجلًا من صحابة رسول الله، وكان خافيًا لإسلامه، فقال له: إلى أينَ يا عمر؟ قال سيدنا عمر: ذاهبٌ لأقتل محمدًا. فأخبره الصّحابي بإسلام أخته "فاطمة" وزوجها، فانطلقَ سيدنا عمر غاضبًا إلى دار "سعيد بن زيد"- زوج أخته "فاطمة"-، فطرقَ الباب، وكان سيدنا "خباب بن الأرت" يعلّم السيدة "فاطمة" وسيدنا "سعيد بن زيد" القرآن، ففتح سيدنا "سعيد بن زيد" له الباب، فأمسكه عمر، قال له: أراكَ صبأت (أي خرجت عن ديننا)؟ فقال سيدنا "سعيد": يا عمر، أرأيتَ إنْ كان الحقُّ في غير دينك؟ فضربَه سيدنا عمر، وأمسك أخته، وقال لها: أراكِ صبأتِ؟ فقالت: يا عمر، أرأيتَ إن كان الحقّ في غير دينك؟ ضربَها ضربة شقَّت وجهَها، فسقطت من يدِها صحيفة، قال لها: ناوليني هذه الصّحيفة، فقالت له السيدة فاطمة- رضي الله عنها-: أنتَ مشركٌ نجس،

اذهبْ فتوضأ، ثمّ اقرأها، فتوضّأ عمر، ثمّ قرأ الصحيفة، وكان فيها: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [مِن سورة طـه].

فاهتزّ عمر، وقال: ما هذا بكلام بشر، ثمّ قال: دلّوني على محمد، فقام له "خباب بن الأرت"، وقال: أنا أدلّكَ عليه، ذهبَ به إلى دار الأرقم، فطرق "عمر" البابَ، قال الصحابة: مَن؟ قال: عمر...

خافَ الصحابة، واختبأوا، فقام "حمزة بن عبد المطلب"، وقال: يا رسولَ الله، دعْه لي. فقال ﷺ: اتركه يا حمزة، فدخل سيدنا عمر، فأمسكَ به رسولُ الله ﷺ، وقال له: أمَا آن الأوان يا ابن الخطّاب؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، فكبّر الصحابة تكبيرًا عظيمًا سمعته مكّةُ كلها؛ فقد كان رسولُ الله- ﷺ- يدعو له دائمًا، ويقول: (اللّهم أعزّ الإسلام بأحد العُمريْن).

ومِن هنا، بادر سيدنا عمر بن الخطاب بشجاعته، وقامَ فقال لرسول الله: يا رسولَ الله، ألَسْنا على الحق؟ قال الرسول: نعم، قال عمر: أليْسوا على الباطل؟ قال رسولُ الله: نعم، فقال عمر بن الخطاب: ففيمَ الاختفاء؟ قال رسولُ الله: فما ترى يا عمر؟ قال عمر: نخرج، فنطوفُ بالكعبة، فقال له رسولُ الله: نعم يا عمر. فخرجَ المسلمون لأوّل مرةٍ يكبّرون ويهللون في

صفّين؛ صفّ على رأسه "عمر بن الخطاب"، وصفّ على رأسه "حمزة بن عبد المطلب"، وبينهما رسول الله، يقولون: اللهُ أكبر ولله الحمد، حتّى طافوا بالكعبة، فخافتْ قريش، ودخلتْ بيوتها؛ خوفًا من إسلام عمر، ومن رسولِ الله ﷺ، وصحابته- رضي الله عنهم-؛ ولذا سمّاه الرسول- ﷺ- بالفاروق؛ لأنّ الله- عزّ وجلّ- فرّق به بين الحقّ والباطل، ومِن هنا بدأ نشر الإسلام علنًا.

وهذا موقفٌ آخرُ تتجسّد إنسانيته- رضي الله عنه- فيه جليَّة:

فقدْ قال "أسلم" مولى عمر بن الخطاب:

خرجتُ ليلة مع عمر إلى حرّة (وهو المكانُ المتلئ بالصخور، والذي يصعبُ المشي عليه)، وأقمنا حتّى إذا كنّا بصرار (مكان)، فإذا بنارٍ، فقال: يا أسلم، ها هنا ركب قد قصر (أي حبسهم) بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم، فإذا امرأةٌ معها صبيان لها، وقدرٌ منصوبة على النار، وصبيانها يبْكون، فقال عمر: السّلام عليكم يا أهل الضوء (وهذا مِن أدبه- رضي الله عنه- فلم يحب أنْ يقول لهم يا أهلَ النار)، قالت: وعليك السلام، قال: أأدنو؟ قالت: ادْنُ (أي اقترب)، فدنا، فقال: ما بالكم؟ قالت: قصرَ بنا الليل، والبرد، قال: فما بالُ هؤلاء الصبية يبكون؟ قالت: مِن الجوع، فقال: وأيّ شيء على النّار؟ قالت: ماء؛ أعلّلهم به حتّى يناموا، فقالت: اللهُ بيننا

وبين عمر، فبكى عمر، ورجع يُهرول إلى دار الدّقيق، فأخرج عدلًا من دقيق، وجرابَ شحم، وقال: يا أسلم، احملْه على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين، فقال: أأنت تحملُ وزري عنّي يوم القيامة؟ فحمله على ظهره، وانطلقنا إلى المرأة، فألقى عنْ ظهره، ووضعَ من الدقيق في القدر، وألقى عليه من الشّحم، وجعل ينفخ تحتَ القدر، والدخان يتخلّل لحيته ساعة، ثمّ أنزلها عن النّار، قال: آتني بصحفة (وهو ما يوضَع فيه الأكل)، فأُتِي بها، فغرفها، ثمّ تركَها بين يدي الصبيان، وقال: كلوا، فأكلوا حتّى شبعوا، والمرأة تدعو له، وهي لا تعرفه، فلم يزلْ عندهم حتّى نام الصغار، ثمّ أوصى لهم بنفقةٍ، وانصرفَ، ثمّ أقبل عليّ، قال: يا أسلم، الجوعُ الذي أسهرهم وأبكاهم.

❋❋❋

عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- هو أوّل مَن لقّب بأمير المؤمنين، فقد ذكرَ أنّ أبا بكر الصديق- رضي الله عنه- كان المسلمون يسمونه خليفة رسولِ الله ﷺ، فلمّا توفي وخلفه عمر رضي الله عنه، قال رضي الله عنه: كان أبو بكر يُقال له خليفة رسول الله ﷺ، فكيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله؟ يطول هذا! فقال له "المغيرة بن شعبة": أنتَ أميرُنا ونحن المؤمنون، فأنت أميرُ المؤمنين، قال: فذاك إذن.

وفي روايةٍ أخرى، قيل سمّاه بذلك "لبيد بن ربيعة" و"عدي بن حاتم" .

❋❋❋

هذه هي جيوشُ المسلمين تقتحم معاقلَ الفرس والروم وتدكها، ولم يبقَ غير القدس هدفًا، لكنّ نصارى القدس لم يحبذوا فكرة دخول المسلمين إلى الأرض المقدسة بسيوفهم، فأرسلوا للخليفة العادل يطلبون منه المجيء لديارهم ليسلّموها له، ويسلموه مفاتيحها.

وصلَ رجاؤهم لخليفة المسلمين رضي الله عنه، فلم يُخَيِّب رجاءهم.

لم يمشِ عمر بن الخطاب للقدس بخيلٍ قوية، ولا بجيوش جرارة، ولا بعظمةٍ وأبّهة غير عظمة الإيمان في قلبه، مشى إليها بناقةٍ وخادم معه، وزاد (أي طعام، هو عبارة عن كفايته الطريق من الماء والخبز والتمر).

مشى إليها يقطع الفيافي (أي الصحاري)، في رحلة تاريخية، من المدينة للقدس، يقطع وخادمُه الصحراء، وحيديْن، أعزلين، يتلوان القرآن. كان عمر- رضي الله عنه- يركب ناقتَه ساعة، ويمشي خادمُه، ثمّ ينزلُ ليركب خادمُه ساعة أخرى ويمشي هو، ثمّ يمشي الاثنان ليريحا الناقة، في رحلة شاقّة، يرافقهما لهيبُ الصحراء، يمشيان، ويركبان، حتّى وصلا قريبًا من الجيش المحاصر للقدس بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، وبينهما منخفض مليء بالماء والطين، وكان الخادم راكبًا، وعمر ماشيًا، بيدِه مقود الناقة، لم يأمرْ عمر خادمه أن يتنحّى ليركب الناقة ويجتاز الوحلَ أمامه، وكان الخادم يريد أن ينزل ليمشي ويركب أميرُ المؤمنين، إلّا أنّ الخليفة العادل أبى ذلك كلّه،

وبعظمة العدل والرحمة والتواضع شمّر ثيابه وخاضَ الوحل، فتمرّغت ساقاه بالوحل، وعندما علمت جيوشُ المسلمين بمقدم أمير المؤمنين هبّ قائدُها أبو عبيدة مع قواده ليستقبلوه استقبالًا يليق بمقام خليفة المسلمين، حين شاهدَ أبو عبيدة ما أصاب ساقيّ أمير المؤمنين من الوحل، قال له عن طيبِ نيّة: يا أمير المؤمنين، لو أمرتَ بركوب، فإنّهم ينظرون إلينا.

غضبَ عمر، وصاح بوجهِ هذا القائد العظيم قائلًا: والله، لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة لجعلتُه عبرةً لآل محمّد ﷺ! لقد كنّا أذلة فأعزّنا اللهُ بالإسلام، فإذا ابتغينا عزًّا بغير الإسلام أذلنا الله.

لم يمكثْ عمر الوقتَ الطويل عند أبي عبيدة، فواصل الركبُ المسيرَ باتجاه القدس، إذْ هي قريبة من مركز القيادة، وكان عمر- رضي الله عنه- راكبًا، وخادمُه ماشيًا، يقرءان القرآن، وانتهت المدّةُ التي يستريح بها أمير المؤمنين فوقَ الناقة، ويجب أن يستريح خادمه، فنزل عمرُ عن الناقة ليمشي، وركبَ خادمه، وأخذَ عمر بزمام الناقة، ورجلاه لا تزالان ممرّغتين بالوحل.

وصلَ الركب الفاتحُ إلى باب دمشق، أحد أسوار القدس، والخليفة يمشي يقودُ الناقة، وخادمُه راكب، وحشودُ الروم من عسكريّين ومدنيين وقساوسة متجمْهرين عند الأسوار يشاهدون ما يحدث مذهولينَ مصْعوقين غير مصدّقين لأغربِ مشهدٍ تاريخي حضاري لا يحلمون برؤيته.

حتّى إذا استقرّ الركب عند الباب، نزلَ إليه رئيس الأساقفة، وبيده مفاتيح القدس، وبعد أنْ سلّم عليه، قال له: إنّ صفات مَن يتسلّم مفاتيح إيلياء (بيت المقدس) ثلاثة، وهي مكتوبة في كتبنا:

أوّلها: يأتي ماشيًا وخادمه راكبًا.

ثانيها: يأتي ورِجْلاه مُمرّغتان في الوحل.

وثالثُها: لو سمحتَ أنْ أعدّ الرقع التي في ثوبك.

فعدّها، فإذا هي سبعُ عشرة رقعة! فقال: وهذه هي الصفة الثالثة.

اللّهم فكّ أسْر بيتِ المقدس، وارزقْنا صلاةً فيه قبلَ الممات يا ربّ العالمين.

***

موقفٌ آخر من سيرته العطرة:

خرجَ عمر بن الخطاب إلى السوق يومًا في إحدى جولاته التفقدية، فرأى إبلًا سِمانًا، تمتازُ عن بقية الإبل التي في السوق بنموّها وامتلائها، فسأل:

إبلُ مَن هذه؟ قالوا: هذه إبلُ عبد الله بن عمر، فانتفضَ أمير المؤمنين مأخوذًا، وقال عبدُ الله بن عمر! ويحكَ يا ابنَ أمير المؤمنين. وأرسل في طلبه فورًا، فأقبلَ عبد الله حتّى وقف بين يدي والده، فقال لابنه: ما هذه الإبل يا عبد الله؟!

فأجاب عبد الله: إنّها إبلٌ هزيلة، اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى الحمى (أي المرعى)، أتاجرُ فيها، وأبتغي ما يبتغي المسلمون.

فعقّب عمر يعنّف ابنه: ويقول الناسُ حين يروْنها اسقوا إبلَ ابن أمير المؤمنين، ارعوا إبلَ ابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمنُ إبلك، ويرْبو ربحك، يا ابنَ أمير المؤمنين.

ثمّ صاح به: يا عبدَ الله بن عمر، خذْ رأس مالك الذي دفعته في هذه الإبل، واجعلِ الرّبح في بيت مال المسلمين.

***

ذاتَ يوم، أرسلَ كسرى رسولًا لزيارة عاصمة الإسلام وملكهم عمر بن الخطاب؛ حيث كان يظنّ أنّها مملكة، وأمره أن ينظرَ كيف يعيش؟ وكيف يتعاملُ مع شعبه؟ فلمّا وصل رسولُ كسرى إلى المدينة المنورة- عاصمة الإسلام- لمقابلةِ أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سأل: أين قصرُ أمير المؤمنين؟ ضحكَ الصحابة من سؤاله هذا، وأخذوه إلى بيتٍ من طين، وعليه شَعْر ماعز.

طرقوا الباب، ففتحَ لهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، فسألوه عن أبيه، فقال: ربّما كان في نخل المدينة.

فدلُّوه على رجلٍ نائم تحت ظلّ شجرة، وفي ثوبه عددٌ من الرقع، وبدون أي حراسة، ينامُ على الأرض، يغُطُّ في نوم عميق، يتوسَّد يدَه

اليسرى (أي يضعُها تحت رأسه كوسادة)، ويده اليمنى على عينه؛ تحميه من حرارة الشّمس، فتعجّب من هذا المنظر، وتذكّر كسرى وقصوره وحرسَه وخدمه، فقال قولتَه المشهورة: عدلت، فأمنْت، فنمْتَ يا عمر.

***

كان- رضي الله عنه- أوّلَ مَن أقام بيت المال في الإسلام، كما جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي وغيره..

ففي بداية الدولة الإسلامية، لم يكنْ هناك بيتُ مال بالمعنى الذي عرفه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه؛ فكانت سياسة رسول الله- ﷺ- تقومُ على تقسيم الأموال وإنفاقها في وجوهها؛ نظرًا لِقلَّتِها، وحاجةِ الناس إليها، وعلى هذا النهج سار أبو بكر وعمر في صدر (أي بداية) خلافته، حتّى اتسعت الدولة شرقًا وغربًا، وتشعّبت أمورها، وكثرت إيراداتُها، فأنشأ لذلك بيتَ المال، ودوّن الدواوين.

***

[٣]

الصّحابي الجليلُ
"سعد بن معاذ"
- رضي الله عنه- وأرضاه

أسلمَ سعد بن معاذ على يدِ مصعب بن عمير، وذلك قبل الهجرة بعام واحد.

فقدْ قال ابن إسحاق: لمّا أسلم وقفَ على قومه، فقال: إنّ كلامكم عليّ حرام، رجالكم ونساؤكم، حتّى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما بقيَ في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلّا وأسلموا.

***

وعندما هاجرَ رسولُ الله وصحبه إلى المدينة، كانت دورُ بني عبد الأشهل (قبيلة سعد) مفتّحة الأبواب للمهاجرين، وكانت أموالهم كلّها تحت تصرّفهم بغيرِ منّ، ولا أذى، ولا حساب.

***

ثمّ جاءت غزوةُ الخندق لتتجلّى رجولة سعد، وبطولتُه، تجلّيًا باهرًا ومجيدًا، فبينما رسولُ الله- ﷺ- وأصحابُه يحيون بالمدينة في سلام، إذا فريقٌ من زعماء اليهود يخرجون خلسةً إلى مكة؛ محرّضين قريش على رسولِ الله، وباذلين لها العهودَ أنْ يقفوا بجانبهم إذا هُم خرجوا لقتال المسلمين، كما بذلوا نفسَ العهود مع قبيلة غطفان (وهي من أكبر قبائل العرب).

ووضعتْ خطّة الحرب، فقريش وغطفان يهاجمان المدينة بجيش عرمرم كبير، بينما اليهودُ يقومون بدورٍ تخريبي داخلَ المدينة وحولها في الوقت الذي يباغتها فيه الجيش المهاجم.

ولمّا علم النبي - ﷺ - بالمؤامرة الغادرة، راح يعدّ لها العدّة، فأمرَ بحفر خندق حول المدينة؛ ليعوق زحفَ المهاجمين، وأرسل سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة إلى كعب بن أسد زعيم يهود بني قريظة؛ ليتبيّنا حقيقة موقف هؤلاء من الحربِ المرتقبة، وكان بين رَسول الله - ﷺ - وبين يهود بني قريظة عهودٌ ومواثيق، فلمّا التقى مبعوثا الرسول بزعيم بني قريظة، فوجئا به يقول:

" ليسَ بيننا وبين محمد عهدٌ ولا عقد "

عزّ على الرسول أن يتعرّض أهلُ المدينة لهذا الغزو المدمدم، والحصار المنْهك، ففكر في أنْ يعزل غطفان عن قريش، فينقضّ الجيش المهاجم بنصفِ عدده، ونصفِ قوته، وراح بالفعل يفاوضُ زعماء غطفان على أن ينفضُوا أيديهم عن هذه الحرب، ولهم لقاءَ ذلك ثلثُ ثمار المدينة، وقبِلَ قادة غطفان، ولم يبقَ إلّا تسجيل وتوثيق الاتفاق.

وقفَ رسول الله - ﷺ - عند هذا الحد؛ إذْ رأى أن ليس من حقّه أنْ ينفرد بالأمر، فدعا إليه أصحابه رضي الله عنهم؛ ليشاورهم، واهتمّ - ﷺ - اهتمامًا خاصًّا برأي سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة؛ فهُمَا زعيمَا المدينة، ولذلك هُمَا أصحابُ الحقّ الأوّل في مناقشة هذا الأمر، واختيار موقف تجاهه.

قصّ رسول الله- ﷺ- عليهم ما جرى بينه وبين زعماء غطفان، فتقدّم السعدان إلى رسول الله بهذا السؤال:

- يا رسولَ الله، أهذا رأيٌ تختاره، أم وحي من الله؟

قال الرسول:

- بل أمرٌ أختارُه لكم، والله ما أصنع ذلك إلّا لأنّني رأيت العرب قد رمتكم عنْ قوس واحدة، وكالَبوكم من كلّ جانب (أي عادوهم وخاصموهم)، فأردتُ أن أكسر عنكم شوكتهم.

فقال سعد بن معاذ:

- قدْ كنّا وهؤلاء على الشّرك وعبادة الأوثان، لا نعبدُ الله ولا نعرفه، وهم لا يطْمَعون أنْ يأكلوا من مدينتنا تمرة، إلّا كرمًا وضيفة، أَفحين أكرمنا اللهُ بالإسلام، وهدانا له، وأعزّنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟

والله ما لنا بهذا مِن حاجة، ووالله لا نُعطيهم إلّا السيف، حتّى يحكم الله بيننا وبينهم.

وعلى الفور عدلَ رسولُ الله- ﷺ- عن رأيه، وأنبأ زعماء غطفان أنّ أصحابه رفضوا مشروعَ المفاوضة، وأنّه أقرّ رأيهم والتزم به، ولبسَ المسلمون لباسَ الحرب، وخرج سعد بن معاذ حاملًا سيفه ورمحه، وفي إحدى الجوَلات

تلقّت ذراعُ سعد سهمًا وبيلًا، قذفه به أحد المشركين، وتفجّر الدمُ من وريده، وأسعفَ سريعًا إسعافًا مؤقتًا يرقأ به دمه (أي يسكن، أو يوقف الدم)، وأمرَ النبي- ﷺ- أن يحمل إلى المسجد، وأنْ تنصب له به خيمةٌ حتّى يكون على قربٍ منه دائمًا أثناء تمريضه، ففعلوا، ورفعَ سعد بصرَه إلى السماء، وقال:

" اللّهم إنْ كنت أبقيت من حربِ قريش شيئًا، فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبّ إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولَك، وكذبوه، وأخرجوه، وإن كنت قد وضعتَ الحرب بيننا وبينهم، فاجعلْ ما أصابني اليوم طريقًا للشهادة ".

وقد استجاب الله- عزّ وجلّ- دعاءه؛ فكانت إصابتُه هذه طريقه إلى الشهادة، وأيضًا لم يمتْ حتّى شفي صدرًا من بني قريظة؛ وذلك أنه بعد أن يئست قريش من اقتحام المدينة، ودبّ في صفوف جيشها الهلع، حمل الجميع متاعَهم وسلاحهم، وعادوا مَخذولين إلى مكّة، فأمر رسول الله- ﷺ- أصحابَه بالسّير إلى بني قريظة، فحاصروهم خمسة وعشرين يومًا، حتّى رأى هؤلاء ألّا منجى لهم من المسلمين، فاستسلموا، وتقدّموا إلى رسول الله- ﷺ- برجاء، وهو أن يحكم فيهم سعد بن معاذ؛ فقد كان حليفَهم في الجاهلية.

فأرسلَ إليه، وجيء به محمولًا على دابّة، وهو مضنى من جرحه (أي متعب أو مرهق)، فقال له رسولُ الله ﷺ:

- أشِرْ عليّ في هؤلاء.

قال: إنّي أعلمُ أنّ الله قد أمرك فيهم بأمْر أنتَ فاعله.

قال: أجل، ولكن أشِرْ.

فقال: لو وليتُ أمرَهم لقتلتُ مقاتليهم، وسبيْت ذراريهم (جمع ذرية بمعنى نسل).

فقال: والذي نفْسي بيده، لقد أشرتَ عليّ فيهم بالذي أمرني الله به.

وفي السّابع والثلاثين ماتَ شهيدًا.

فجاء رسولُ الله، فقيل: انطلقوا به، وأسرع حتّى تقطعت شسوعُ نعالهم (أي زمام، أو سير، أو رباط النعل)، وسقطت أرديتهم، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: إنّي أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله، كما غسلت حنظلة، فانتهى إلى البيت، وهو يغسل، وأمّه تبكيه.

فقال: "كلّ باكية تكذب إلّا أم سعد".

ثمّ خرج به، يقول له القوم: ما حملنا يا رسولَ الله ميتًا أخفّ علينا منه.

قال: ما يمنعُه أن يخف؛ وقد هبطَ من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطّ قبل يومِهم، قد حملوه معكم؟!

يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:

كنت ممّن حفروا لسعد قبرَه، وكنّا كلّما حفرنا طبقةً من تراب، شممنا ريحَ المسك، حتّى انتهينا إلى اللحد.

وكان مصابُ المسلمين في سعد عظيماً، ولكن عزاءهم كان جليلًا، حين سمعوا رسولهم الكريم يقول:

لقد اهتزّ عرشُ الرّحمن لموت سعد بن معاذ، وكان هذا حبًّا للقائه- رضي الله عنه- وأرضاه.

***

[٤]

الصّحابي الجليلُ
"عثمان بن عفان"
- رضي الله عنه- وأرضاه

كان عثمان- رضي الله عنه- قد ناهزَ الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصّديق إلى الإسلام، فأجابَ على الفور دعوة الصديق؛ لذا فهو أحدُ السابقين الأوّلين.

كما كان- رضي الله عنه- ثالثَ الخلفاء الراشدين، فقدْ بايعه المسلمون بعد مقتل عمر بن الخطاب- رضي الله عنهما.

وقد أوذي وعُذّب في سبيل الله تعالى على يدِ عمّه الحكم بن أبي العاص بن أميّة، الذي أخذه فأوثقه رباطًا، وقال:

أترغبُ عن ملّة آبائك إلى دينٍ محدث؟ والله لا أَحُلُّك أبدًا حتّى تدع ما أنت عليه من هذا الدين.

فقال عثمان:

والله لا أدعُه أبدًا، ولا أفارقه.

فلمّا رأى الحكمُ صلابتَه في دينه تركه، وكان ممّن هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والثانية، ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

وقد قال رسولُ الله – ﷺ–: "إنّ عثمان لأوّلُ مَن هاجر إلى الله بأهله بعد لوطٍ)، ولذلك قيل عنه صاحب الهجرتين.

قال سعيد بن المسيب: "تأيَّم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ، وتأيَّمت حفصة بنت عمر من زوجها، فمرّ عمر بعثمان، فقال: هل لكَ في حفصة؟ وكان عثمانُ قد سمع رسول الله– ﷺ– يذكرها، فلم يجبْه، وذكر ذلك عمرُ للنبي ﷺ، فقال: هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ أَتَزَوَّجُ حَفْصَةَ وَأُزَوِّجُ عُثْمَانَ خَيْرًا مِنْهَا: أُمَّ كُلْثُومٌ".

تأيَّمَ: أي مكث بلا زوج.

وعن أبي هريرة، أنّ رسول الله– ﷺ– أتى عثمان عند باب المسجد، فقال: "يا عثمان، هذا جبريل يخبرني عنِ الله أن أزوّجك أمّ كلثوم بمثل صداقِ رقية، وعلى مثل صحبتها".

وعنِ الحسن، قال: إنّما سمي عثمان ذا النورين؛ لأنّا لا نعلم أحدًا أغلق بابه على ابنتي نبي غيره.

ولمّا توفّيت أم كلثوم– رضي الله عنها– تأثّر عثمان رضي الله عنه، وحزن حزنًا عظيمًا على فراقها، ورأى رسولُ الله– ﷺ– عثمان وهو يسيرُ منكسرًا، وفي وجهِه حزن لما أصابه، فدنا منه وقال: لَوْ كَانَ عِنْدَنَا ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْنَاكَهَا يَا عُثْمَانُ".

وهذا دليلُ حبّ وتكريم الرسول– ﷺ– لعثمان.

ولعثمان- رضي الله عنه- وقفات جليلة في خدمة الإسلام والمسلمين، وإليكم بعضٌ منها:

فعنْ عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان إلى النبي- ﷺ- بألف دينار في ثوبه، حين جهّز جيش العسرة، فصبّها في حجر النبي ﷺ، فجعل يقلّبها بيده ويقول: "ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم".

***

ولمّا قدِمَ المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عينٌ يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمُدٍّ (وهو مكيالٌ قديم)، فقال رسولُ الله ﷺ: "تبيعُها بعين في الجنة؟" قال: ليس لي يا رسولَ الله عينٌ غيرها، لا أستطيع ذلك.

فبلغَ ذلك عثمان، فاشتراها بخمسةٍ وثلاثين ألف درهم، ثمّ أتى النبيﷺ، فقال: أتجعلُ لي مثل الذي جعلتَ له (عينًا في الجنة) إنِ اشتريتُها؟ قال: "نعم"، قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين.

***

وعن أبي هريرة، قال: اشترى عثمانُ من رسول الله- ﷺ- الجنةَ مرّتين: يوم رومة، ويوم جيش العسرة.

حيث كانت هذه الغزوة في زمان عُسرةٍ وجدب على الناس، فحَثَّ النبي على البَذل والإنفاق فيها، فقال:

(مَن جهّز جيش العسرة فله الجنة)

فجهّزه عثمان- رضي الله عنه- وأرضاه.

***

وعن حيائه رضي الله عنه، سأكتفي بذكر هذا الموقف:

قالت عائشةُ رضي الله عنها: كان رسول الله- ﷺ- مضطجعًا في بيته كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، ثمّ عمر، وهوَ على تلك الحال فتحدّثا، ثمّ استأذن عثمان، فجلس رسول الله- ﷺ- وسوّى ثيابه، فدخل فتحدث، فلمّا خرج، قلت: يا رسول الله، دخلَ أبو بكر فلم تجلس له، ثمّ دخل عمر فلم تهشّ له، ثمّ دخل عثمان فجلستَ وسوّيت ثيابك، قال: "ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة؟!"

***

وقال أنس: قال رسولُ الله ﷺ: "أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان".

***

وعَنْ أَبي مُوسَى- رضي اللّه عنه- قَالَ: "كُنْتُ مَعَ النَّبيِّ- ﷺ- في حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَة، ثمّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: (افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّة عَلَى بَلْوَى تُصيبُه) فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-، فَحَمِدَ اللَّه، ثمّ قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ".

❋❋❋

اختَصّه رسول الله- ﷺ- بكتابة الوحي، وقد نزل بسببه آياتٌ من كتاب الله تعالى، وأثنى عليه جميع الصحابة، وكان شديد المتابعة للسنّة، وكثير القيام بالليل، وقد جمعَ القرآن الكريم، كما قام بتوسعة المسجد النّبوي الشريف- رضي الله عنه- وأرضاه.

❋❋❋

وعن قتادة، أنّ أنس بن مالك- رضي الله عنه- حدثهم: أن النبي- ﷺ- صعد أحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجفَ بهم، فقال: اثبت أُحُد؛ فإنّما عليك نبي وصديق وشهيدان.

وكان المقصودُ بالشهيدين: عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، والصديق هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

❋❋❋

ومِن حديث مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان: أنّ عثمان أعتق عشرين عبدًا مملوكًا، ودعا بسراويل فشدَّ بها عليه، ولم يلبَسْها في جاهلية ولا إسلام، وقال: (إنّي رأيتُ رسول الله- ﷺ- البارحة في المنام، ورأيتُ أبا بكر وعمر، وأنّهم قالوا لي: اصبرْ، فإنك تفطر عندنا القابلة؛ أي المرة أو الليلة المُقْبِلة أو الآتية)، فأصبح صائمًا، ودعا بمصحف فنشَرَه بين يديه، فقُتِلَ وهو بين يديه.

وكان عمرُه اثنين وثمانين عامًا، ودفن- رضي الله عنه- في البقيع.

وقد لعنتْ عائشةُ قاتله، وكذلك فعل عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، وبقتله انفتحت أوّلُ فتنةٍ بين المسلمين، ولم تنغلق إلى اليوم.

***

[٥]

الصّحابي الجليلُ
"بلال بن رباح"
- رضي الله عنه- وأرضاه

كان بلالُ بن رباح الحبشي عبدًا من عبيد قريش، وأمّه أَمَةٌ من إمائهن.

كتمَ بلال إسلامَه لوقت طويل، إلى أنْ جاء يومٌ وعلمت قريش بإسلامه، وقام سيدُه بتسليمه لكلّ مِن أبي جهل وأمية بن خلف، قاموا بتعذيبه عذابًا لا يتحمّله بشر، فقد كانوا يخرجونَ به في الظهيرة حيث تتحول الصحراء إلى جهنّم قاتلة، فيطرحونه على حصاها الملتهب وهو عريان، ثمّ يأتون بحجر مستعرٍ كالحميم، ينقله من مكانِه بضعة رجال ويلقون به فوقه، ويصيح به جلّادوه: (اذكرِ اللات والعزى).

فيجيبهم: أحدٌ أحد.

حتّى جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وجدَهم يعذّبونه، فعرض أن يشتريَه بأيّ ثمن فوافقوا، فابتاعه- رضي الله عنهما- وأعتقه، وبشّر رسولَ الله- ﷺ- بعتقه، فَسُرَّ، وكان فرحًا للمسلمين.

***

"بلال بن رباح"

قال عبد الله بن مسعود عنه: "كان أوّل مَن أظهر إسلامَه سبعة: رسول الله، وأبو بكر، وعمار، وأمّه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأمّا رسول الله فمنعَه الله بعمّه أبي طالب، وأمّا أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمّا سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوا أدراعَ الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم أحدٌ إلّا وأتاهم على ما أرادوا إلّا بلال، فإنّه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد".

وكان عمر يقول: "أبو بكر سيّدُنا، وأعتقَ سيدَنا؛ يعني بلالًا".

❋❋❋

اكتشف النبيُّ موهبته ومهارته وصوته النديّ، فكان أوّلَ مَن رفع الأذان بأمرٍ منه- ﷺ- في المسجد الذي شُيِّد في المدينة المنورة، واستمرّ في رفع الأذان لمدّةٍ تقارب العشر سنوات.

❋❋❋

وقد نشبَ القتال بين المسلمين وجيش قريش في غزوة بدر، وبلال هناك يصولُ ويجول في أوّل غزوةٍ يخوضها الإسلام، تلك الغزوة التي أمر الرّسول- ﷺ- أن يكون شعارُها (أحد... أحد).

وبينما المعركة تقترب من نهايتها، احتمى أمية بن خلف بعبد الرحمن بن عوف- صاحب رسول الله-، وطلب منه أن يكون أسيرَه ليخلص بحياته وينقذَ نفسه من بلال بن رباح.

فلمحَه بلال فصاح قائلًا: (رأس الكفر، أمية بن خلف. لا نجوتُ إن نجا)، ورفع سيفَه ليقطف الرأس الذي طالما أثقله الغرورُ والكبْر، فصاح به عبد الرّحمن بن عوف: (أي بلال، إنه أسيري)، ورأى بلال أنه لن يقدر وحده على اقتحام حمى أخيه في الدّين، فصاح بأعلى صوته في المسلمين: (يا أنصارَ الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوتُ إن نجا).

فأقبلتْ كوكبة من المسلمين وأحاطت أميّة وابنه، فلم يستطع عبد الرحمن بن عوف أنْ يصنع شيئًا، وألقى بلال نظرةً طويلةً على جثمان أمية الذي هوى تحتَ السيوف، ثمّ هرولَ عنه مسرعًا وهو يصيح: (أحد... أحد).

***

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله- ﷺ- لبلال عند صلاة الغداة: "يا بلال، حدّثني بأرجى عملٍ عملته عندك في الإسلام منفعة؛ فإنّي سمعت الليلة خشفَ نعليك (أي: صوت نعليه) بين يدي في الجنة".

قال بلال: ما عملت عملًا في الإسلام أرجى عندي منفعةً من أني لا أتطهر طهورًا تامًّا في ساعةٍ من ليل ولا نهار إلّا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي.

***

ومع كلّ هذا ظلّ بلال كما هو كريمًا متواضعًا، لا يرى نفسه إلّا أنه: "الحبشيّ الذي كان بالأمس عبدًا".

***

وعندما انتقل النبي - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، ونهض بأمر المسلمين مِن بعده أبو بكر الصديق، ذهبَ بلال إلى الخليفة يقول له: يا خليفةَ رسول الله، إنّي سمعت رسول الله يقول: أفضلُ عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله، فقال له أبو بكر: فما تشاء يا بلال؟

قال: أردت أن أرابطَ في سبيل الله حتّى أموت.

قال أبو بكر: ومَن يؤذن لنا؟

قال بلال وعيناه تفيضان من الدمع: إنّي لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله.

قال أبو بكر: بل ابْقَ وأذّن لنا يا بلال.

قال بلال: إن كنتَ قد أعتقتني لأكونَ لك فليكن ما تريد، وإن كنتَ أعتقتني لله، فَدَعْنِي وما أعتقتني له.

فقال أبو بكر: بل أعتقتك لله يا بلال.

***

رُوي أنّه سافر إلى الشام، ورَوَى البعضُ أنّه قَبِل رجاء أبي بكر في أن يبقى معه بالمدينة، فلما قُبِضَ وَوُلِّيَ عمر الخلافة، استأذنه وخرج إلى الشام.

حيث كان يقول عنْ نفسه- رضي الله عنه- وأرضاه: لم أطِق أن أبقى في المدينة بعدَ وفاة الرسول ﷺ.

وكان إذا أراد أن يؤذّن وجاء إلى: "أشهد أنّ محمدًا رسول الله.." تخنقه عَبْرته، فيبكي.

***

وفي أحد الأيام رأى بلال النبيَّ محمدًا في منامه وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ ما آنَ لك أن تزورنا؟

فانتبَه حزينًا، وركب إلى المدينة، فأتى قبرَ النبي وجعل يبكي عنده، فأقبل الحسنُ والحسين فجعل يقبّلهما ويضمّهما، فقالا له: نشتهي أن تؤذن في السَّحَر، فَعَلَا سطحَ المسجد، ولمّا قال: اللهُ أكبر الله أكبر، ارتجّت المدينة، ولمّا قال: أشهدُ أن لا إله إلّا الله، زادت رجّتها، ولمّا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، خرجَ النساء من خدورهنّ، فما رُؤِيَ يومٌ أكثر باكيًا وباكية من ذلك اليوم بعد وفاة رسول الله.

كما يُرْوَى أنه لم يستطع إكمالَ الأذان لشدّة بكائه رضي الله عنه.

***

وعندما زار أميرُ المؤمنين عمر- رضي الله عنه- الشّام، توسّل المسلمون إليه أن يحملَ بلالًا على أن يؤذّن لهم صلاة واحدة، فدعاه ورجاه أن يؤذن للصّلاة، فصعد وأذّن.

فبكى الصحابة الذين كانوا أدركوا رسول الله- ﷺ- كما لم يبكوا من قبْل، وكان عمر أشدّهم بكاءً.

***

وقد قال عنه رسولُ الله: "نعمَ المرءُ بلال، هو سيّد المؤذنين".

وقال: "المؤذّنون أطولُ الناس أعناقًا يوم القيامة".

***

وعندَ وفاته، تبكي زوجته بجواره، فيقول:

"لا تَبْكِ، غدًا نلقى الأحبة؛ محمّدًا وحزبه".

ومات- رضي الله عنه- في الشّام مرابطًا في سبيل الله كما أراد، ودفن في دمشق، على الأغلب في السنة العشرين للهجرة.

***

[٦]

الصّحابي الجليلُ

"علي بن أبي طالب"

- رضي الله عنه - وأرضاه

هو ابنُ عمّ النبي - ﷺ -، ولد قبل البعثة النبوية بعشر سنين، وأقام في بيت النبوة، وكان أوّل مَن آمن من الصبيان، فكان - ﷺ - إذا حضرتِ الصلاة خرجَ إلى شعاب مكة، وخرج علي معه مستخفيًا من أبيه وسائرِ قومه، فيصلّيان الصلوات معًا، وإذا أمسيا رجعَا.

***

هو أحدُ العشرة المبشّرين بالجنة، وزوجته الطاهرة البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنها؛ ابنةُ رسول الله ﷺ.

ووالدُ الحسن والحسين؛ ريحانتيّ وسبطيّ رسول الله - ﷺ - وسيديّ شباب الجنة، ولذا كان يكنّى بأبي الحسن.

وفي ليلة الهجرة، أمرَه محمد - ﷺ - أن يبيت في فراشه حتّى لا يعرف أهلُ قريش بمغادرته من مكة إلى المدينة، حيث اتفق المشركون على اختيار فارسٍ من كلّ قبيلة ليضربوه ضربة رجل واحد؛ فيتوزّع دمه الشريف - ﷺ - على القبائل، ولا يستطيع بنو هاشم المُطالبة به، ففعل عليّ ما طُلب منه، وفي هذا دلالة على شجاعته وجرأته وحبّه للرسول.

"علي بن أبي طالب"

وأقامَ عليّ- رضي الله عنه- بمكّة ثلاث ليالٍ، حتّى أدى عن رسول الله-ﷺ- الودائعَ التي كانت عنده للناس كما أمره، وما أن فرغ منها لحقَ برسول الله في قباء.

وقد آخى النبيّ بينه وبين علي- رضي الله عنه- وأرضاه، آخذًا بيده قائلًا: هذا أخي.

***

قال فيه النبي- ﷺ- "مَن أحبّ عليًّا فقد أحبني، ومَن أحبني فقد أحبّ الله، ومَن أبغض عليًّا فقد أبغضني، ومَن أبغضني فقد أبغض الله"

***

وقد شهدَ الغزوات كلّها ما عدا غزوة تبوك؛ حيث استخلفه الرسول-ﷺ- في أهله، ولمّا غضب عليّ وشكى ذلك لرسول الله، قائلًا: أتخلفني في النساء والصبيان؟

فقال له الرّسول: أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي؟

***

وكان عليّ بن أبي طالب مثالًا في الشجاعة والفروسية؛ ما بارز أحدًا إلّا صرعَه، وكان زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة.

***

وفي غزوة أحد، بدأ القتال بمبارزةٍ بين علي بن أبي طالب وطلحة بن عثمان، وكان بيدِه لواء المشركين، وطلب المبارزة مرارًا، فخرج إليه علي بن أبي طالب، وقال- رضي الله عنه- له: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتّى يعجلك الله بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة.

ضربَه علي، فقطع رجلَه، فوقع على الأرض، فانكشفت عورته فقال: يا ابن عمّ، أنشدك الرحم.

فرجع عنه ولم يُجْهز عليه، فكبّر رسول الله ﷺ، وقال لعليّ بعضُ أصحابه: أفلا أجهزتَ عليه؟

قال: إنّ ابن عمّي ناشدني الرحم حينَ انكشفت عورته، فاستحييت منه.

***

وذاتَ يوم، خرج علي، فاضطجعَ في المسجد، فخرج النبي- ﷺ- إليه، فوجدَ رداءه قد سقط عنه، وخلصَ التراب إلى ظهره، فجعل يمسحُ التراب عن ظهره ويقول: "اجلس يا أبا تراب".

ولذا كان يحبّ أن ينادى بأبي تراب لأنّ رسول الله- ﷺ- هو مَن كنّاه بها.

***

ولمّا نزلت على النبيﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، في بيت أمّ سلمة، فدعا فاطمة والحسنَ والحسين، وعليّ خلفَ ظهره، فجلّلهم بكساء، ثمّ قال: "اللّهم هؤلاء أهلُ بيتي، فأذهبْ عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرًا"

***

وعن أبي العباس سهل بن سعدٍ الساعدي- رضي الله عنه- أنّ رسول الله- ﷺ- قال يوم خيبر:

"لأعطينّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه اللهُ ورسوله"، فباتَ الناسُ يدوكُون ليلتهم أيّهم يعطاها؟ (يدوكون: يخوضون ويتحدّثون)، فلمّا أصبح الناس غدَوا على رسول الله ﷺ، كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أينَ عليّ بن أبي طالب؟"، فقيل: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، قال: "فأرسلوا إليه". فأتيَ به، فبصقَ رسول الله- ﷺ- في عينيه، ودعا لهُ، فبرأ حتّى كأنْ لم يكن به وجع، فأعطاهُ الرّاية، فقال علي- رضي الله عنه-: يا رسولَ الله، أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟

فقال: "انفذْ على رِسلك حتّى تنزل بساحتهم، ثمّ ادْعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجبُ من حقّ الله تعالى فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمرِ النعم". متفق عليه.

***

لمّا استشهدَ عثمان- رضي الله عنه- بويعَ علي- رضي الله عنه- كارهًا راضخًا لرأي الصّحابة والمهاجرين والأنصار، وقد كان من بينهم طلحة والزّبير رضي الله عنهما، فأصبح رابعَ الخلفاء الراشدين، يعمل جاهدًا على توحيد كلمة المسلمين وإطفاء نار الفتنة.

فطلبَ طلحة والزبير من عليّ أن يقيم الحدَّ على قتلة عثمان رضي الله عنه، فرفضَ عليّ متعلّلًا بأنه لا يملك القوّة التي يقيم بها الحدّ على قتلة عثمان.

فغضبَا- رضي الله عنهما-، وخرجَا إلى مكّة لمقابلة السيدة عائشة وهي عائدة من الحجّ، وقرّروا الذهاب للبصرة حتّى تجتمع كلمة المسلمين على إقامة الحدّ على قتلة عثمان رضي الله عنه.

فخرج الخليفةُ من المدينة المنورة على رأس قوّة من المسلمين على أمل أن يدركَ السيدة عائشة- رضي الله عنها- ويعيدها ومَن معها، لكنه لم يلحق بهم حتّى وصلَ قرب البصرة، فأرسل إلى أمّ المؤمنين عائشة، وسألها عن سبب مجيئها، فقالتِ الإصلاح، وكذلك كان رأيُ طلحة والزبير، واتفقوا درءًا للفتنة على تأجيل هذا الأمر، وأبلغوا عليًّا بذلك، وبات هذا الفريق راضيًا، لكنّ فريق قتلة عثمان بقيادة عبد الله بن سبأ باتَ يدبّر فتنة للمسلمين؛ حيث قسّم فريقه قسمين، وأمرَ فريقًا أن ينقضّ على فريق طلحة والزبير، والفريق الآخر ينقضّ على فريق علي، وذلك في سواد الليل، فظنّ كلّ فريق أنّ الكلامَ الذي كان بينهما كان خدعة، ودارت معركةُ الجمل بين الفريقين.

حتّى أشرق الصبح، فذهب علي- رضي الله عنه- ليطمئنّ على أمّ المؤمنين عائشة عملًا بوصية رسول الله ﷺ، وجهّزها بكلّ ما كانت تحتاجُ إليه من الزّاد والمتاع والمركب، وأرسل معها أخاها محمد بن أبي بكر، فانطلقتْ إلى المدينة، وظلّت في بيتها حتّى لاقت ربها.

وكانتْ كلّما تذكّرت ما حدث بكتْ بكاءً شديدًا حتّى يبتلّ خمارها.

ولمّا رأى عليّ طلحة والزبير مجدلين في التراب بكى منتحبًا، وتمنّى لو ماتَ قبلَ هذا بعشرين سنة.

ورفضَ معاوية البيعة حتّى يقتصّ لعثمان بعدما أرسلت له نائلة زوجُ عثمان بقميصِه الذي قتلَ فيه، وبه أصابعُها التي قطعت أثناءَ دفاعها عن عثمان، وهنا بايعه المسلمون على أخذِ الثّأر وإقامة الحدّ على قتلة عثمان رضي الله عنه.

توجّه علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- إلى الشام، وأرسل إلى أهل الشام يدعوهم إلى مبايعته، وحقنِ دماء المسلمين، لكنّهم رفضوا، فكانت معركة "صفّين".

وكادَ الأمرُ يحسَمُ لصالح عليّ وجنده، حتّى رفع جيش معاوية المصاحف على أسنّة الرماح والسيوف، وقالوا بيننا وبينكم كتابُ الله عزّ وجل، وقد أدركَ الخليفة خدعتهم، وهو أدرى الناسِ بكتاب الله، فأمر جنوده بالاستمرارِ في

القتال، لكنّ فريقًا من رجاله اضطرّوه للموافقة على وقف القتالِ، وقبول التحكيم.

وهنا، ظهرتْ فتنة الخوارج بعدما اختير أبو موسى الأشعري متحدثًا باسم علي، وعمرو بن العاص متحدثًا باسم معاوية، فاعترض الخوارج وثاروا على عليّ، قائلين: حكّمت الرجال في كتاب الله.

فقام الإمامُ علي بإرسال حبْر الأمّة "ابن عباس" رضي الله عنه، فقال لهم: ماذا تنقمون على ابنِ عمّ رسول الله ﷺ؟

قالوا: ثلاث...

١- قبلَ بحكم الرجال، والله يقول: ﴿إِنِ الحكم إلّا لله﴾..

٢- أنّه لم يسبِ ولم يغنمْ في معركتي الجمل وصفين.

٣- محا نفسَه من لقب أمير المؤمنين، إذًا.. فهو أمير الكافرين.

ردّ عليهم ابنُ عباس بالحجّة البالغة على ما ينقمون به فقال :

أمّا الأولى:

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾

أناشدُكم الله، أَحُكمُ الرجالِ في أرنب خيرٌ أمْ حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم، وأنتم تعلمونَ أنّ الله لو شاء لحكم؟

فقالوا: بل الحكمُ في إصلاح ذات بين المسلمين أفضل.

أمّا الثانية:

فقال ابن عباس: أمّا قولكم قاتلَ فلم يسبِ ولم يغنم، أَفَتَسْبُون أمّكم عائشة وتستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها، وهي أمّكم؟

فإنْ قلتم نعم، فقد كفرتم. وإنْ قلتم ليست بأمّنا فقد كفرتم؛ فأنتم تدورون بين ضلالتيْن، فأتوا منهما بمخرج، هل خرجت مِن هذه؟ قالوا: نعم.

أمّا الثالثة:

محا اسمَه من أمير المؤمنين، وقد فعلها النبي قبلَ ذلك في صلح الحديبية حين رفضَ الكفار أن يُكتب محمد رسول الله، وكتب محمد بن عبد الله.

أقام ابنُ عباس على هؤلاء الحجة، وبالفعل عاد عددٌ كبيرٌ جدًّا منهم للصّواب، ولكن بقي عددٌ يحمل هذا العفنَ الفكري، وقد أخبر عنهم النبي..

فعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ

حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

ولم يسلم الخليفة من شرّ هؤلاء الخوارج؛ إذ اتّفقوا فيما بينهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلةٍ واحدة، وحدّدوا لذلك ثلاثة من بينهم لتنفيذ ما اتّفقوا عليه، ونجح عبد الرحمن بن ملجم فيما كلف به؛ إذ تمكن من طعنِ علي- رضي الله عنه- بالسّيف وهوَ خارجٌ لصلاة الفجر، بينما أخفق الآخران.

وعندما هجم المسلمون على ابن ملجم ليقتلوه نهاهم علي، قائلًا: "إنْ أعش فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا، وإنْ متّ فألحقوه بي أخاصمه عند ربّ العالمين، ولا تقتلوا بي سواه، إنّ الله لا يحب المعتدين".

وباستشهاده- رضي الله عنه- انتهى عهدُ الخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم أجمعين.

***

[٧]

الصّحابي الجليل
"مصعب بن عمير"
- رضي الله عنه - وأرضاه

نشأ مصعب بن عمير في مكّة شابًّا جميلًا مترفًا مدلّلًا منعّمًا، يرتدي أحسن الثياب، ويتعطّر بأفضل العطور، وما إنْ بلغته دعوة النبي - ﷺ - إلى الإسلام حتّى أسلم سرًّا في دار الأرقم؛ خوفًا من أُمِّه القوية خناس بنت مالك العامرية وقومِه، فكانَ من السابقين إلى الإسلام.

ظلّ مصعب على تلك الحالة إلى أنْ علم قومُه بإسلامه، فأخذوه وحبسوه، وحرمتْه أمّه من كلّ المُتع التي كان يحظى بها قبلَ إسلامه، فلم يزل محبوسًا إلى أن هاجر إلى الحبشة، ثمّ رجع مع المسلمين حين رجعوا.

وعندما تمّت بيعة العقبة الأولى، طلبَ الأنصارُ من رسول الله - ﷺ - أن يبعث معهم رجلًا ليعلّم مَن أسلم من أهل يثرب القرآن، ويدعو للإسلام ويصلّي بهم، فاختاره النبي، وبعثه معَ نقباء الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة الأولى، فنزل ضيفًا على أسعد بن زرارة، وهو بذلك أول سفيرٍ في الإسلام، وهو أيضًا صاحبُ الهجرتين، وأوّل مَن هاجر إلى يثرب من المسلمين.

وعندما بعثه النبي- ﷺ- إلى المدينة ليكون خليفته هناك، جعلَ الله هداية كبار الصحابة من الأنصار على يديه.

وإليكم قصّة إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيِّدي قومهما من بني عبد الأشهل...

فقد كانَا مشركيْن على دينِ قومهما، فلمّا سمعَا بمصعب بن عمير ونشاطه في الدّعوة إلى الإسلام، قال سعد لأسيد: انطلق إلى هذيْن الرجلين اللذين أتيا ليسفّهَا ضعفاءنا فازْجُرهما؛ فإنّه لولا أسعد بن زرارة منّي لكفيت كذلك، فهو ابن خالتي.

فأخذَ أسيد حربتَه، ثمّ أقبل عليهما، فلمّا رآه أسعد بن زرارة، قال: هذا سيد قومه، وقد جاءك فاصدقِ الله فيه، قال مصعب: إنْ يجلس أكلمه.

فوقفَ عليهما، فقال: ما جاء بكما تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إنْ كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب بلسانِ المؤمن الهادئ الواثق من سماحة دعوته: أوتجلس فتسمع، فإنْ رضيت أمرًا قبلتَه، وإنْ كرهته كففنا عنك ما تكره؟

قال أسيد: أنصفت.

ثمّ ركّز حربته، وجلس إليهما، فكلّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالَا فيما يذكر عنهما: والله لقد عرفنا في وجهِه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله.

ثمّ قال: ما أحسنَ هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالَا له: تغتسل فتطهَّر وتطهِّر ثوبيك، ثمّ تشهد شهادة الحق، ثمّ تصلِّي.

فقامَ فاغتسل وطهّر ثوبيْه وتشهّد شهادة الحق، ثمّ قام فركع ركعتين، ثمّ قال لهما: إنّ ورائي رجلًا إنِ اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكم الآن "سعد بن معاذ".

ثمّ أخذ حربته وانصرفَ إلى سعد وقومه وهُم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلًا قال: لقد جاءكم أسيدُ بن حضير بغير الوجْه الذي ذهب به من عندكم.

فلمّا وقفَ على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟

قال: كلّمت الرجلين، وما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما، فقالَا: نفعل ما أحببت.

وقد حُدِّثت أنّ بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنّهم عرفوا أنّه ابن خالتك ليحقروك.

فقام سعد مغضبًا مبادرًا مخوفًا للذي ذكر له من أمر بني حارثة، وأخذ الحربةَ في يده، ثمّ قال: والله ما أراكَ أغنيت شيئًا.

ثمّ خرج إليهما سعد، فوجدهما مطمئنّين، فعرف أنّ أسيدًا إنّما أراد أن يسمع منهما، فوقفَ عليهما، ثمّ قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منّي، أتغشانا في دارنا بما نكره؟

وكان أسعدُ قد قال لمصعب: لقد جاء والله سيدٌ من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلّف منهم اثنان. فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع، فإنْ رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره.

فقال سعد: أنصفت.

ثمّ ركّز الحربة وجلس، فعرضَ عليه الإسلام، وقرأ القرآن، قالا: فعرفنا- والله- في وجهه الإسلام قبلَ أن يتكلم في إشراقه وتسهّله.

قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم في هذا الدين؟

قالَا: تغتسل، فتطهَّر وتطهِّر ثوبيك، ثمّ تشهد شهادة الحق، ثمّ تصلي ركعتين. فقام فاغتسل، وطهّر ثوبيه، ثمّ تشهد شهادة الحق، ثمّ ركع ركعتين، ثمّ أخذَ حربته فأقبل عائدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلمّا رآه قومُه مقبلًا، قالوا: لقد رجعَ إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

فلمّا وقف عليهم، قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيّدُنا وأفضلنا رأيًا، وأيمنُنا نقيبة.

قال: فإنّ كلامَ رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتّى تؤمنوا بالله ورسوله.

قال: فو الله ما أمسى في دارِ بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلّا مسلمًا أو مسلمة.

***

شهد مصعبُ مع النبي غزوة بدر، وغزوة أحد، وكان فيهما حامل لواء المهاجرين، وقد قُتل مصعب بن عمير في غزوة أحد، على يد ابن قمئة اللّيثي، حيث هاجمه وهو يحملُ اللواء، فضرب يدَ مصعب اليمنى فقطعها، فأخذَ اللواء باليسرى فقطعها، فضمّ مصعب اللواء بعضديه إلى صدره، فطعنَه ابن قمئة برمح في صدره، فقتله.

ولم يترك مصعب عندَ مقتله إلّا نمرة، أرادوا تكفينه بها، فكانوا إذا غطوا رأسَه بدتْ رجلاه، وإذا غطوا رجليْه بدا رأسه، فقال النبي ﷺ: «غطّوا رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر».

والنّمرة: كساء له خطوطٌ بيض وسود.

الإذخر: نباتٌ له رائحة طيبة.

***

[٨]

الصّحابي الجليلُ
"حمزة بن عبد المطلب"
- رضي الله عنه - وأرضاه

هو عمُّ الرسول- ﷺ- وأخوه من الرضاعة، وأحبّ أعمامه إليه، وكان يكنّى بأبي عمارة.

كان حمزة في الجاهلية فتًى شجاعًا كريمًا سمحًا، وكان أشدَّ فتى في قريش، وأعزَّهم شكيمة.

ذاتَ يوم رأى أبو جهل الرسولَ عند الكعبة، فاعترضه وآذاه وشتمه ونال منه ما يكره، فلم يكلّمه- ﷺ- وانصرف، فعمد أبو جهل إلى نادٍ لقريش عند الكعبة، وجلس معهم، لكنّ مولاةً لعبد الله بن جدعان سمعت هذا، وما لبثَ حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشّحًا قوسه، عائدًا من رحلة الصّيد، وكان إذا فعلَ ذلك لا يمرّ على نادٍ من قريش إلّا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان يومئذ مشركًا على دين قومه، فلمّا مرّ بالمولاة، قصت عليه ما كان مِن أمر أبي جهل معَ ابن أخيه ﷺ، فغضب وخرج سريعًا لا يقف على أحدٍ كما كان يصنع، فلمّا دخل وجد أبا جهل جالسًا، فأقبل نحوه، وضربَه بالقوس، فشجَّ رأسه شجةً منكرةً، ثمّ قال: «أتشتمه وأنا على دينِه، أقولُ ما يقول؟ فرُدَّ ذلك عليّ إن استطعت»

وقام رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، فقالوا: «ما نراك يا حمزة إلّا قد صبأت»

فقال حمزة: «وما يمنعني منه وقد استبانَ لي منه ذلك؟ وأنا أشهد أنه رسولُ الله، وأنّ الذي يقول حق، فو الله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين»

فقال أبو جهل: «دعوا أبا عمارة، فإنّي سببت ابنَ أخيه سبًّا قبيحًا»

وتمّ حمزة على إسلامه، وكان هذا في السنة الثانية للبعثة، ولمّا أسلم- رضي الله عنه- عرفت قريش أنّ محمدًا قد عزّ وامتنع، وقويت شوكة المسلمين، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

وبعدَ فترةٍ قصيرة من إسلام حمزة، أسلم عمر بن الخطاب، فخرج المسلمون لأوّل مرةٍ إلى شوارع مكة جهرةً، وكانوا بصفَّين: أحدهما يتقدمه عمر، والثاني حمزة، فبإسلامهما عزّ الإسلامُ والمسلمون.

شهد- رضي الله عنه- بدرًا، وأبلى فيها بلاءً عظيمًا، وكان حمزة بن عبدالمطلب هو الذي ابتدأ قتال المشركين في غزوة بدر، فقد خرج رجل من جيش قريش، هو الأسود بن عبد الأسد المخزومي القرشي، فقال: «أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه»

فلمّا خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلمّا التقيا ضربه حمزة فأطار قدمَه وهو دونَ الحوض، فوقع على ظهره تَشْخَبُ رجلُه دمًا، ثمّ حبا إلى الحوضِ يريد أن يبرّ يمينه، فأتبعه حمزة وضربه حتّى قتله في الحوض.

ثمّ خرج بعدَه عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، فدعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة فتية من الأنصار، فنادى مناديهم: «يا محمد، أخرجْ إلينا أكفاءَنا عن قومنا»

فقال الرسولُ ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي»

فبارز عبيدةُ- وكان أسنّ القوم- عتبةَ بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة، فأمّا حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله، وأمّا عليّ فلم يمهلِ الوليد أن قتله، وأمّا عبيدة وعتبة فضرب كلّ منهما ضربةً لصاحبه، فجرحَه جراحةً لم يقمْ معها، وكرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فقتلاه، وحملا صاحبَهما فحاذاه إلى أصحابه.

وقد أبلى حمزة بلاءً عظيماً يومَ بدر، وكان يقاتل بسيفين، وقد قتل أشجعَ شجعان قريش، وأكثرهم إقدامًا، وكان أسدَ الله، وأسدَ رسوله ﷺ.

كما شهدَ حمزة- رضي الله عنه- غزوة أحد فقُتل بها سنة ٣هجريّة، وكان قد قَتَلَ من المشركين قبل أن يُقتل واحدًا وثلاثين نفْسًا.

ثمّ قتله وحشيّ بن حرب الحبشي غلامُ جبير بن مطعم، ومثَّل به المشركون، وخرجَ رسولُ الله- ﷺ- يتفقد حمزة، فوجده ببطن الوادي قد مُثِّل به، فلم يرَ منظرًا أوجع لقلبِه منه، فقال: «رحمك الله، أي عم، فلقد كنتَ وصولًا للرحم فعولًا للخيرات»

ثمّ قال: «جاءني جبريل فأخبرني أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السّموات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسدُ الله وأسدُ رسوله»

وكان النبي يجمع بين الرّجلين من قتلى أحد في قبرٍ واحد، يقول: «أيّهم أكثرُ أخذًا للقرآن؟»

فإذا أشير إلى أحدهما قدّمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»

وأمرَ بدفنهم بدمائهم، فلم يُغسلوا، ودفن حمزة وابن أخته عبد الله بن جحش الأسدي في قبرٍ واحد، وكُفّن حمزةُ في نمرة، فكان إذا تُركت على رأسه بدتْ رجلاه، وإذا غطّى بها رجليْه بدا رأسُه، فجُعلت على رأسه، وجُعل على رجليه شيء من الإذخر»

والإذخر: نبات له رائحة طيبة.

وقد روى وحشي- رضي الله عنه- بعد إسلامه، أن النبي- ﷺ- عندما رآه قال له: «أوحشي؟»

قال: «نعم يا رسول الله»

قال: «اقعدْ فحدّثني كيف قتلت حمزة؟»

فحدّثه، ولمّا فرغ من حديثه، قال: «ويحك! غيّب عني وجهك، فلا أرينك»

فكان يتجنّب رسول الله حيث كان لئلّا يراه، حتّى قبضه الله، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرج معهم، وأخذ حربته التي قتلَ بها حمزة، فتهيّأ له، وتهيّأ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى، كلاهما يريداه، فهزّ حربته ودفعها عليه، فوقعتْ فيه، وشدّ عليه الأنصاري فضربَه بالسّيف، فربّك أعلمُ أيّهما قتله؟

فإنْ كان قتله، فقد قتل خيرَ الناس بعدَ رسول الله، وقد قتلَ شرّ الناس.

***

[٩]

الصّحابي الجليلُ

"عمرو بن العاص"

- رضي اللّه عنه- وأرضاه

أسلمَ عمرو بن العاص- رضي الله عنه- قُبيل فتح مكة، على يد النجاشي بالحبشة؛ فقد كان صديقًا له، دائمَ التردّد عليه، وفي إحدى زياراته للحبشة جاء ذكرُ النبي الجديد ودعوته وما يدعو له من مكارم الأخلاق، فسأل النجاشي عَمْرًا وكيف لم يؤمنْ به ويتبعه وهوَ رسول الله حقًّا؟

فسألَ عمرو النجاشي: أهو كذلك؟

فأجابه: نعم، فأطِعْني يا عمرو واتّبعه، فإنّه والله لعلى الحق، ولَيَظْهرنّ على مَن خالفه.

ركب عمرو مِن فوْره متّجهًا إلى المدينة ليسلم لله ربّ العالمين، وفي طريق المدينة التقى خالد بن الوليد الذي كان يسعى إلى الرسول ليعلن إسلامَه أيضًا، وما كاد الرسول- ﷺ- يراهما حتّى تهلل وجهه، وقال لأصحابه: لقد رَمَتْكم مكة بفَلَذات أكبادها.

فتقدّم خالد وبايعه ﷺ، وتقدّم عمرو فقال: إنّي أبايعك على أنْ يغفر الله لي ما تقدّم من ذنبي.

فأجابه الرسولُ الكريم: يا عمرو بايع، فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله.

فبايعَ عمرو ووضعَ كلّ ما يملك في خدمة الدين الجديد.

***

كان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يحبّه ويعرف قدرَه وذكاءه، فكان يقول عنه: ما ينبغي لأبي عبد الله أنْ يمشي على الأرض إلّا أميرًا.

وكان أيضًا إذا رأى رجلًا قليلَ العقل أو بطيء الفهم، يقول: خالقُ هذا وخالقُ عمرو بن العاص واحد.

كما كان عمرو بن العاص جريئًا مِقْدامًا، يمزج ذكاءه بدهائه، فقد كان واحدًا من الأربعة الأشدّ دهاء، حتّى أنّنا نحتار أحيانًا في تفسير مواقفِه وردودِ أفعاله- رضي الله عنه- وأرضاه.

وكان عمر بن الخطاب يعرف ذلك فيه، فعندما أرسله إلى الشام قيل له: "إنّ على رأس جيوش الروم بالشام أرطبونًا". أي قائدًا وأميرًا من الشجعان الدُّهاة، فكان جوابُ أمير المؤمنين: لقد رمينا أرْطَبون الروم بأرْطَبون العرب، فلننظر عمَّ تنفَرج الأمور؟

ولقد انفرجتْ عن غلبة ساحقةٍ لأرطبون العرب وداهيتهم عمرو بن العاص على أرطبون الروم الذي ترك جيشه للهزيمة، وولّى هاربًا إلى مصر.

***

كان عمرو يتمنّى أن يفتح اللهُ على يديه مصر، فظلّ يحدّث عمر بن الخطاب عنها، حتّى أقنعه، فأمَّره الفاروق قائدًا على جيش المسلمين لفتح مصر، وتحريرها من أيدي الروم، فسار عمرو بالجيش واستطاع بعد كفاح طويل أن يفتحها، ويحرّرَ أهلها من ظلم الرومان وطغيانهم، ويدعوهم إلى دين الله عزّ وجل، فدخل المصريون في دين الله أفواجًا.

وأصبح عمرو بن العاص واليًا على مصر بعد فتحها، فأنشأ مدينة الفسطاط، وبنى الجامع الذي يعرف حتّى الآن باسم جامع عمرو بن العاص، وكان شعبُ مصر يحبّه حبًّا شديدًا، وينعم في ظله بالعدل والحرية ورغدِ العيش، وكان عمرو يحبّ المصريين ويعرف لهم قدرهم.

وما دُمنا قد ذكرنا دهاءه، فإليكم إحدى صوره...

ففي موقفه من قائدِ حصن بابليون أثناء حربه مع الرومان في مصر، وقيل أثناء موقعة اليرموك مع أرطبون الروم...

إذْ دعاه الأرطبون ليحادثه، وكان قد أعطى أمرًا لبعض رجاله بإلقاء صخرة فوقه إثرَ انصرافه من الحصن.

ودخل عمرو على القائد، لا يريبه شيء، وانفضّ لقاؤهما، وبينما هو في طريقِه إلى خارج الحصن، لمحَ فوق أسواره حركة مريبة حرَّكت فيه حاسة الحذر بشدّة. وعلى الفور تصرّف بذكاء ودهاء كعادته، فعاد إلى قائد الحصن في خطواتٍ هادئة وواثقة، كأنْ لم يفزعه شيء، ولم يثر شكوكه أمر، فقال له:

"عمرو بن العاص"

لقد بادرني خاطرٌ أردت أن أطلعكَ عليه، إنّ معي حيث يقيم أصحابي جماعةً من أصحاب الرسول السابقين إلى الإسلام، لا يقطع أمير المؤمنين أمرًا دون مشورتهم، ولا يرسل جيشًا من جيوش الإسلام إلّا جعلهم على رأسِ مقاتلته وجنوده، وقد رأيت أن آتيك بهم، حتّى يسمعوا منك مثل الذي سمعت، ويكونوا من الأمر على مثل ما أنا عليه من بيّنة.

فأدرك قائدُ الروم أنّ عَمْرًا بسذاجته قد منحه فرصة العمر.

فليوافقه إذن على رأيه حتّى إذا عاد ومعه هذا العدد من زعماء المسلمين وخيرةِ رجالهم وقوادهم، أجهزَ عليهم جميعًا بدلًا من أن يجهز على عمرو وحده. وبدون أن يلاحظ عمرو أعطى أمره بإرجاء الخطة التي كانت معدّةً لاغتياله، وودَّعه بحفاوة، وصافحه بحرارة، فابتسم داهية العرب وهو يغادر الحصن.

وفي الصباح، عاد عمرو على رأس جيشِه إلى الحصن، ممتطيًا صهوة فرسه.

وفي السنة الثالثة والأربعين من الهجرة أدركته- رضي الله عنه- الوفاة بمصر حيث كان واليًا عليها. وراح يستعرض حياته في لحظات الرحيل، فقال:

"كنت أوّلَ أمري كافرًا، وكنت أشدّ الناس على رسول الله، فلو متّ يومئذ لوجبتْ لي النار...

ثمّ بايعت رسول الله، فما كان في الناس أحدٌ أحبّ إليّ منه، ولا أجل في عيني منه، ولو سئلت أنْ أنعته ما استطعت، لأنّي لم أكن أقدر أنْ أملأ عيني منه إجلالًا له، فلو متّ يومئذ لرجوت أن أكون من أهل الجنة...

ثمّ بُليت بعد ذلك بالسلطان، وبأشياء لا أدري أهي لي أم علي؟"

ثمّ رفع بصره إلى السماء في ضراعة، مناجيًا ربّه الرحيم العظيم عزّ وجل، وظلّ في تضرّعه، وابتهاله حتّى صعدت روحُه إلى الله، وكانت آخر كلماته "لا إله إلّا الله".

***

[١٠]

الصّحابي الجليلُ

"جعفر بن أبي طالب"

- رضي الله عنه- وأرضاه

كان- رضي الله عنه- ابنَ عمّ الرسول ﷺ، وكان شقيق عليّ بن أبي طالب، وقال له النبي ﷺ: "أشبهت خَلقي وخُلقي".

أسلم سيدنا جعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس على يدي الصدِّيق- رضي الله عنه- قبل أن يدخل الرسولُ الكريم دار الأرقم، ولقيا من أذى قريش ما لقيَه المسلمون، فسمح له الرسول بالهجرة إلى أرض الحبشة ومعَه زوجُه وجماعةٌ من المسلمين لأنّ بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، فخرجوا مخافةَ الفتنة، وفرارًا بدينهم، فكانت أولَ هجرة في الإسلام.

وقد كان عمرو بن العاص صديقًا للنجاشي، فبعثته قريش ومعه عبد الله بن أبي ربيعة بهديةٍ إلى النجاشي ليسلّمهما المسلمين المهاجرين إلى بلاده.

فلمّا طلبَا منه ذلك، بعث إليهم، فذهبوا إليه، تقدّم جعفر بن أبي طالب الذي اختاروه كي يتحدّث عنهم لما له من ذكاء ونجابة ولباقة وفصاحة.

فقال: يا أيها الملك...

كنّا قومًا أهلَ جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتّى بعث الله إلينا رسولًا منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدقِ الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات... فصدّقناه وآمنّا به، واتبعناه على ما جاءه من ربه، فعبدنا اللهَ وحده ولم نشركْ به شيئًا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعَدَا علينا قومنا (عدا: أي طغى)، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان، وإلى ما كنّا عليه من الخبائث...

فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، ورغبنا في جوارك، ورجوْنا ألّا نُظلَم عندك"

فاستبشرَ النجاشي، وسأله: هل معك ممّا جاء به عن الله من شيء؟

قال جعفر: نعم...

قال النجاشي: فاقرأه عليَّ...

فمضى جعفر يتلو آياتٍ من سورة مريم، في أداء عذب، وخشوع، فبكى النّجاشي الذي كان يعتنق المسيحية آنذاك، وبكى معه أساقفته، فكفكف دموعَه الهاطلة الغزيرة، وقال:

"إنّ هذا والذي جاء به موسى (وفي روايةٍ: عيسى) ليَخرُج من مشكاة واحدة".

والتفتَ إلى مبعوثيّ قريش، وقال: انطلقا، فوالله، لا أسلمهم إليكم أبدًا.

وقد حاول عمرو بن العاص بدهائه أن يدبّر المكائد ليوقع بين النجاشي والصّحابة، فزعم أنهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم النجاشي ثانيةً، وسألهم عمّا يقولون في عيسى، فأجاب جعفر: هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

فرأى النجاشي أنّ هذا ما وصفَ به عيسى نفسه، فأطلقهم، ووعدهم أن يعيشوا آمنين في أرضه، وردّ على المبعوثين هداياهما.

مكثَ المسلمون في الحبشة، إلى أنْ سمح لهم الرسول بالهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجر جعفر يومَ فتح خيبر، فكانت له هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة.

قدِم جعفر بن أبي طالب على الرسولِ يوم فتح خيبر، فقبَّله الرسولُ بين عينيه، وقال: "ما أدري بأيّهما أُسَر؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟"

وكان يلقّب- رضي الله عنه- بأبي المساكين؛ فقد كان أجودَ الناس بماله، وكان يجمعُ الفقراء والمساكين في بيته، فيقدّم لهم كلّ ما يملك من طعام؛ ولذا قال أبوهريرة:

"كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب".

***

شهد جعفر بن أبي طالب غزوة مؤتة التي دارت رحاها سنة ثمان من

"جعفر بن أبي طالب"

الهجرة بين المسلمين والروم، وقد كلّف الرسول زيد بن حارثة بقيادة الجيش، وحمل لواء الإسلام، فإنْ قُتل فيحمله جعفر بن أبي طالب، ويكون أميرَ جيش المسلمين، فبدأت المعركة بقيادة زيد، فقاتل وقتل، فأخذ جعفر الراية، فقاتل بها، حتّى إذا ألحمه القتال، رمى بنفسه عن فرسه، فعقرها، أي ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف، وذلك مخافة أن يأخذها العدوُّ فيقاتلَ عليها المسلمين، وكان أول من عقر في الإسلام، وقاتل في شجاعة وبسالة، منشدًا:

يا حبذا الجنةَ واقترابَها طيبةً وباردا شرابُها

أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتّى قُتل، وهو ابن إحدى وأربعين سنة، فصلى عليه الرسولُ، وكان- ﷺ- يقول: «رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة»

وقال أيضًا:

"مرّ بي جعفر الليلة في ملأٍ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم"

ولقي- ﷺ- عبد الله بن جعفر يوما، فقال له: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين...

وكان يقول له: هنيئًا لك، أبوك يطير مع الملائكة في السماء.

[١١]

الصّحابي الجليلُ

"الزبير بن العوام"

- رضي الله عنه- وأرضاه

هو أحدُ العشرة المبشّرين بالجنة، وابن عمّة النبي ﷺ؛ فأمّه هي السيدة صفية بنت عبد المطلب.

من السّابقين الأوّلين للإسلام، رغم أنّه كان لا يزال صغيرًا، فقد أسلم على يدِ الصّديق، وأغلب الظنّ أنّه لم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره.

وكان عمّه يعلّقه في حصير ويدخّن عليه بالنار كي يرجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا.

هاجرَ مع أصحابه إلى الحبشة، ولم يمكث بها طويلًا، ثمّ إلى المدينة، حيث ولدت له زوجه- ذات النطاقين- "أسماء بنت أبي بكر" ابنه "عبد الله بن الزبير"، فكان أوّلَ مولود للمسلمين في المدينة.

وقد وردَ أنّ الزبير كان رجلًا طويلًا إذا ركب خطت رجلاه الأرض، وكان خفيفَ اللّحية والعارضين. وكان شجاعًا فارسًا مقدامًا، لا يُضاهى، حتّى قيل إنّه أوّل مَن استلَّ سيفًا في الإسلام، ففي بداية الدعوة، والمسلمون يومئذ قلة، يستخفون في دار الأرقم.

سرتْ إشاعة ذاتَ يوم أنّ الرسول قتل، فما كان منه- رضي الله عنه- إلّا أن استلَّ سيفه، وسارَ في شوارع مكة على حداثة سنه كالإعصار، حتّى يتأكد من الخبر، متوعدًا أن يعملَ سيفه في رقاب قريش كلها حتّى يظفر بهم أو يظفروا به، إذا كان صحيحًا ما سمع. حتّى رأى النبي، واطمأنّ عليه، وقصَّ عليه النبأ، فدعا له النبي بالخير، ولسيفه بالغَلَبَة.

ولقد كان حظّه من حبّ الرسول وتقديره عظيمًا؛ فكان- ﷺ- يباهي به، ويقول: "إنّ لكلّ نبي حواريًّا، وحواريي الزبير".

شاركَ في جميع الغزوات في عهد النبي ﷺ، فكان على قيادة الميمنة يوم بدرٍ، وكان حاملًا إحدى رايات المهاجرين الثلاث في فتح مكة، كما جعله عمر بن الخطاب في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده.

روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير، قال: قال الزبير: لقيتُ يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى منه إلّا عيناه، وهو يكنى أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة، فطعنته في عينه، فمات.

قال هشام: فأخبرت أنّ الزبير، قال: لقد وضعت رجليّ عليه، ثمّ تمطيت، فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها.

والعنزة: أي الحربة، أو ما يشبه نصفَ الرمح، أو أكبر شيئًا، وفيها سنان مثلَ سنان الرمح.

كما روى البخاريّ في صحيحه من حديث عروة بن الزبير، قال: كان في الزبير ثلاثُ ضرباتٍ بالسيف، إحداهنّ في عاتقه، قال: إني كنت لأدخلُ أصابعي فيها، قال: ضرب ثنْتين يوم بدر، وواحدة في اليرموك.

***

صحبه أحدُ الصّحابة في بعض أسفاره، وقد رأى جسدَه مجدعًا بالسيوف، فسألَ الزبير عنها وقال: والله لقد رأيتُ بك آثارًا ما رأيتها بأحد قط.

فأجابه رضي الله عنه: أمَا والله ما منها جراحة إلّا معَ رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله.

***

ولقد كان يدير تجارةً رابحة ناجحة، وكان ثراؤه عريضًا، لكنّه أنفقه في الإسلام حتّى مات مديونًا.

وكان يوصي ولدَه عبد الله بقضاء ديونه، فقال له:

إذا أعجزك دينٌ، فاستعنْ بمولاي.

وسأل عبد الله: أيّ مولى تعني؟

فأجابه: الله، نعمَ المَوْلى ونعم النصير.

يقول عبد الله فيما بعد:

فوالله ما وقعتُ في كربةٍ من دينه، إلّا قلت: يا مولَى الزبير اقضِ دينه، فيقضيه.

***

استشهد الصحابيّ الجليلُ سنة ست وثلاثين من الهجرة بعد أن تعقبه عمرو بن جرموز، وقتله غدرًا وهو يصلّي في نهاية موقعة الجمل، بعد أن طالب عليًّا بالقصاص مِن قتلة عثمان.

وذهب القاتل إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، يظنّ أنه يحمل إليه البُشرى، لكنّه حين علم أنّ قاتل الزبير بالباب يستأذن، صاح آمرًا بطرده، قائلًا:

بَشِّر قاتلَ ابنِ صفية بالنار.

***

[١٢]

الصّحابي الجليلُ

"زيد بن حارثة"

- رضي الله عنه - وأرضاه

كان- رضي الله عنه- قصيرًا، شديدَ الأدمة؛ أي السمرة، أفطس الأنف، وكانَ هذا نصيبه من الصّفات الشكلية، أمّا نبؤه فكان جدّ عظيمًا، يكفي أن نذكرَ أنّه- رضي الله عنه- كان أحدَ العشرة المبشرين بالجنة.

***

ذاتَ يوم، ذهبَ زيد مع أمّه- سُعْدى بنت ثعلبة- لزيارة أقاربها في بني معن، وكان لا يزال طفلًا، فغارتْ عليهم إحدى القوافل من قطاع الطرق، وأخذت فيما أخذتْ زيدًا أسيرًا، ثمّ بيعَ في سوق عكاظ، فوقع في يد حكيم بن حزام بن خُوَيلد الذي وهبَه بعد أنِ اشتراه لعمّته خديجة، التي وهبته بدورها لزوجها محمد بن عبد الله، الذي لم يكنْ نزل عليه الوحي حتّى تلك اللحظة. تقبّله مسرورًا، وأعتقه من فوره، وراح يمنحه من نفسه العظيمة وقلبه الكبير كلَّ عطفٍ ورعاية.

لم ييأس حارثة- أبو زيد- من البحث عنه أبدًا، حتّى عرف أنه يعيش في بيتِ محمد، فذهب بصحبة عمّه إليه لفداءِ ابنه، فما كان من رسول الله- ﷺ- إلّا أن قال:

ادْعوه وخيِّروه، فإنِ اختاركما فهو لكما بغيرِ فداء، وإنِ اختارني فوالله ما أنا بالذي أختارُ على مَنْ اختارني أحدًا.

قالا: زدْتنا في النَّصَف، وأحسنت.

دعاه النبي - ﷺ - فقال: هل تعرف هؤلاء؟

قال: نعم.

قال: مَنْ هما؟

قال: هذا أبي، وهذا عمّي.

فخيّره رسولُ الله بين البقاء معه أو الذهاب معهما، فقال زيد: ما أنا بالذي أختارُ عليك أحدًا، أنت منّي بمكان الأب والأم.

فقالَا: ويحكَ يا زيد! أتختارُ العبوديّة على الحريَّة، وعلى أبيك وعمِّك وأهل بيتك؟

فلمّا رأى رسول الله - ﷺ - ذلك؛ أخرجه إلى (الحِجْر) فقال: يا مَنْ حَضَرَ، اشهدوا أنّ زيدًا ابني، أرثُهُ ويرثني.

فلمّا رأى ذلك أبوه وعمّه طابتْ نفسيْهما، وانصرفا مطمئنّين على ولدهما الذي تركاه سيدًا في مكة، آمنًا معافى.

تبنّى الرسول زيدًا، وصار يُعرف في مكة كلها بزيد بن محمد، ثمّ نزل الوحي عليه - ﷺ - بإلغاء التبنّي.

***

"زيد بن حارثة"

كان زيد أوّلَ مَن أسلم من الموالي. زوّجه النبي من مولاته وحاضنته أمّ أيمن، فولدت له أسامة. ثمّ زوّجه من ابنة عمّته زينب بنت جحش، ثمّ طلّقها زيد، وأمرَ اللهُ- عزّ وجلّ- النبيّ بالزواج منها، لكنه تردّد في ذلك؛ كونها زوجة سابقة لمُتبنّاه، إلى أن نزل قول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾.

فأبطلتِ الآيةُ الحرجَ الذي كان يتحرجه أهل الجاهلية من أن يتزوج الرجل زوجةَ دعيِّه.

كما نزلت آية:

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

فأبطلتِ التبنّي ذاته، فدُعِيَ يومئذ زيد بن حارثة.

إلّا أنّ زواج النبي من زينب بنت جحش كان مدعاةً لتلاسن بعض أهل المدينة من المنافقين، وطعنوا في الزواج، وقالوا: «محمد يُحرّم نساء الولد، وقد تزوّج امرأة ابنه زيد» فنزلت آية:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

وقد كان ذكرُ اسمه- رضي الله عنه- في القرآن تكريمًا له؛ فلم يُسَمَّ أحد من الصحابة في القرآن باسمه إلّا زيد بن حارثة. كما كانت له مكانته العالية عند النبي ﷺ، فقد رُوي أنه قال له: «يا زيد، أنت مولاي ومنّي وإليّ، وأحبّ القوم إلي»، وكان أصحابُ النبي يُسمونه «حِبّ رسول الله»

وقد قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها:

"ما بعث الرسول- ﷺ- في جيش قط إلّا أمَّره عليهم، ولو بقيَ حيًّا بعد رسول الله لاستخلفه".

وقدْ شهد زيد غزوة بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر. وفي غزوة مؤتة، جهّز رسول الله- ﷺ- جيشًا قوامُه ثلاثةُ آلاف مقاتل، وهو أكبرُ جيشٍ إسلامي حتّى ذلك الحين، وأُسندت قيادتُه لزيدِ بن حارثة، وكانت وصيةً الرسول- ﷺ- إذا قُتل زيد أنْ يتولى القيادة جعفرُ بن أبي طالب، ثمّ عبد الله بن رَواحة. فقاتل زيد قتالًا شرسًا حتّى خرّ على الأرض، واستشهد بعدَ ستة أيام من القتال، بعد أن مزّقته رماح الرومان وهو مُقبل عليهم إقبال الأسد.

***

[١٣]

الصّحابي الجليلُ
"أبو عبيدة بن الجراح"
- رضي الله عنه- وأرضاه

هو أحدُ العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد أسلمَ على يد أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- في الأيام الأولى للإسلام، وهاجرَ إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثمّ عاد منها ليقف إلى جوار رسوله في بدر، وأحد، وغيرهما من البطولات.

قال أبو بكر: "لمّا كان يومُ أحد، ورُمِيَ رسولُ الله في وجهه حتّى دخلت في أجنتيه (وجنتيه) حلقتان من المغفر، فأقبلتُ أسعى إلى رسول الله، وإنسانٌ قد أقبلَ من قِبَلِ المشرق يطير طيرانًا.

فقلت: اللّهم اجعله طاعة.

حتّى توافينا إلى رسول الله، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدرني، فقال: أسألك بالله يا أبا بكر إلّا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله.

قال أبو بكر: فتركتُه، فأخذ أبو عبيدة بثنيةٍ إحدى حلقتي المغفر فنزعها، وسقطَ على ظهره، وسقطتْ ثنيّة أبي عبيدة، ثمّ أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى، فسقطت، فكان أبو عبيدة في الناس أثرم".

ولكن ثَغْرَهُ حَسُنَ بذهابهما، حتّى قيل: "ما رُؤيَ هَتْمٌ قَطُّ أحسن من هَتْم أبي عُبَيْدَة"

(والأثرم أي أهتم: وهو الذي انكسرت ثناياه من أصولها).

(والثَّنِيَّة: هي إحدى الأسنان الأربع في مقدِّم الفم، ثنيتان علويتان واثنتان سفليتان).

***

رويَ أنّ أهل اليمن قدموا على رسول الله، فقالوا: ابعثْ معنا رجلًا يعلّمنا السنّةَ والإسلام.

قال: فأخذَ بيدِ أبي عبيدة، فقال: "هذا أمينُ هذه الأمة"

وبذا، فقد لقَّبَهُ النّبيُّ - ﷺ - بأمين الأمّة حيث قال: "إنّ لكلّ أمّة أمينًا، وإنّ أميننا أيّتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح"

***

أرسله النبي - ﷺ - في غزوة الخبط أميرًا على ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا من المقاتلين، وليس معهم زاد سوى جراب تمر... فراحَ هو وجنودُه يقطعون الأرض، وزاد كلّ واحدٍ منهم طوال اليوم حفنة من التّمر، حتّى إذا أوشك التمرُ أن ينتهي، فكان يعطي كلّ واحدٍ تمرةً يمصّها ويشربُ عليها الماء، فتكفيه

يومه. وكانوا يتصيدون الخَبَطَ، أي ورق الشّجر، فيسحقونه ويشربون عليه الماء؛ لذا سمّيت بغزوة الخبط.

ولقد مضوا لا يُبالون بجوعٍ ولا حرمان، ولا يعنيهم إلّا أن ينجزوا مع أميرِهم القويّ الأمين مهمّتهم الشريفة التي اختارهم لها رسولُ الله ﷺ.

***

ولمّا توفِّي النبيُّ ﷺ، قال أبو بكر يوم السَّقيفة: قد رضيتُ لكم هذَيْن الرجلَيْن، فبايعوا أيهما شئتم. (وأخذ بيدِ عمر ويدِ أبي عُبَيْدَة).

وهذا يدلّ على أنّه- رضي الله عنه- كان أهلًا للخلافة، وفي منزلة أبي بكر وعمر، معَ العلم أنه لم يكنْ من علياء قريش، لكنّه حصل على الكفاءة بخدمته الجليلة للإسلام، وبتفرّده وتفوّقه في مناقب القيادة.

وما بلغَ أبو عُبَيْدَة هذه المنزلة الرفيعة عند الله تعالى، وعند رسوله ﷺ، وعند الصحابة رضي الله عنهم؛ إلّا بسَبْقِه وتضحيته بكلِّ غالٍ في سبيل الله تعالى، مع زهدٍ في الدنيا وحُسْنٍ في الأخلاق والسَّجايا.

ولقد رُوي أنّ عمر بن الخطاب، قال: لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًّا لاستخلفتُه، فإنْ سألني ربّي عنه، قلت: استخلفتُ أمينَ الله، وأمين رسوله.

ولمّا توفِّي رسول الله- ﷺ- بقيَ أبو عُبَيْدَة مجاهدًا طوال خلافة الصديق- رضي الله عنه- وأوَّل خلافة الفاروق- رضي الله عنه- حتّى كان رأس الجيش، وقائد المسلمين في وقعة اليرموك، التي استأصل الله فيها جيوش الروم، وقُتل منهم خَلْقٌ عظيمٌ.

وقد كان خالد بن الوليد يقود جيوشَ الإسلام في إحدى المعارك الفاصلة الكبرى، واستهل أميرُ المؤمنين عمر عهدَه بتولية أبي عبيدة مكان خالد. ولم يكدْ أبو عبيدة يستقبل مبعوثَ عمر بهذا الأمر الجديد، حتّى استكتمه الخبر، وكتمَه في نفسه، زاهدًا، متواضعًا حتّى أتمّ القائد خالد فتحَه العظيم.

تقدّم إليه خالد بن الوليد في أدبٍ شديد بكتاب أمير المؤمنين، وسأله:

ما منعَك أن تخبرني حين جاءك الكتاب؟

فأجابه أمينُ الأمّة:

إنّي كرهت أنْ أكسرَ عليك حربك، وما سلطانُ الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، كلّنا في الله إخوة.

***

لقد كان أبو عُبَيْدَة- رضي الله عنه- زاهدًا في الدنيا، وكان زهده حقيقةً لا تصنُّعًا وتكلُّفًا، وليس زهدًا من قلّة، بل عن غنىً وجِدَةٍ وسَعَةٍ؛ فلقد كان

أمير الشام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقدم عمرُ إلى الشام لتفقُّد أحوال الناس، فقال لأبي عُبَيْدَة: اذهب بنا إلى منزلك. فدخل، فلم يَرَ شيئًا، قال: أين متاعُكَ؟ لا أرى إلّا لِبْدًا وصَحْفَةً وشَنًّا، وأنت أميرٌ، أعندكَ طعامٌ؟ فقام أبو عُبَيْدَة إلى جَوْنَةٍ، فأخذ منها كُسَيْرَاتٍ، فبكى عمر، فقال له أبو عُبَيْدَة: يكفي كما يبلغك المقيل. قال عمر: غيَّرتنا الدنيا كلَّنا غيرك يا أبا عُبَيْدَة.

اللِّبْدة: غطاء للرأس من شعر أو صوف متلبد.

الصَّحفة: إناء للطعام.

الشَّنُّ: قِرْبة يكون فيها الماء أبرد من غيره.

❋❋❋

كانت تلك سيرة أبي عُبَيْدَة- رضي الله عنه- الذي مات بالطَّاعون، والطَّاعون شَهَادَةٌ.

رويَ أنّه لَمَّا طعِنَ أبو عُبَيْدَة قال: يا معاذ، صلِّ بالناس.

فصلَّى معاذ بالناس، ثمّ مات أبو عُبَيْدَة، فقام معاذٌ في الناس، فحثَّهم على التوبة، ثمّ قال: إنّكم أيها الناس قد فُجعتم برجل، والله ما أزعم أني رأيتُ من عبادِ الله عبدًا قطُّ أبرَّ صدرًا، ولا أبعدَ غائلةً (أي فسادًا وشرورًا)، ولا أشدَّ حبًّا للعاقبة، ولا أنصحَ للعامَّة منه.

اجتمع الناس، وتقدّم معاذٌ فصلَّى عليه، فلما وضعوه في لَحْده وخرجوا فشنُّوا عليه التراب.

قال معاذ بن جبل: يا أبا عُبَيْدَة، لأُثنينَّ عليكَ، ولا أقول باطلًا أخافُ أن يلحقني بها من الله مَقْتٌ، كنتَ والله- ماعلمتُ- منَ الذَّاكرين اللهَ كثيرًا، ومنَ الذين يمشون على الأرض هَوْنًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، ومنَ الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا، وكنتَ والله منَ المخبِّتين المتواضعين، الذين يرحمون اليتيم والمسكين، ويبغضون الخائنين المتكبِّرين.

وما إنْ بلغ عمر بن الخطاب موته رضي الله عنه، حتى اغرورقتْ عيناه بالدّموع، وكرّر قولته عنه، قال:

"لو كنتُ متمنّيًا، ما تمنّيت إلّا بيتًا مملوءًا برجال من أمثال أبي عبيدة".

***

[١٤]

الصّحابي الجليلُ

"سعيد بن زيد"

- رضي الله عنه - وأرضاه

من السّابقين الأوّلين إلى الإسلام، حيث أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا، وقبل أن يدخلَ النبيّ دارَ الأرقم، وقد نال نصيبًا من التعذيب بسبب إسلامه، كما أنه أحدُ العشرة المبشرين بالجنة.

***

أبوه هو زيد بن عمرو بن نفيل، وقد كان موحّدًا، حنيفيًّا على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث كان لا يعبدُ الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النّصُب، وكان يعيبُ على قريش ذبائحهم، ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السّماء الماء، وأنبت لها من الأرض ثمّ تذبحونها على غير اسم الله»!

***

وروي أن زيدًا خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم، فقال: إنّي لعلّي أنْ أدين دينكم فأخبرني، فقال: لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غضبِ الله، قال زيد: ما أفر إلّا من غضب اللَّهِ، ولا أحمل من غضب اللّه شيئًا أبدًا، وأنَّى أستطيعه؟ فهل تدلّني

على غيره؟ قال: ما أعلمه إلّا أن يكون حَنيفًا، قال زيد: وما الحنيفُ ؟ قال: دينُ إبْراهيمَ، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلّا اللَّه.

فخرجَ زيدٌ فلقيَ عالمًا منَ النَّصارَى فذكر مثلهُ، فقال: لن تكون على ديننا حتّى تأخذ بنَصيبكَ من لعنة اللَّه، قال: ما أفرّ إلّا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة اللهِ ولا من غضبه شيئًا أبدًا، وأنَّى أستطيعُ؟ فهل تدلني علَى غيره؟ قال: ما أعلمه إلّا أن يكون حنيفًا، قال: وما الحَنيفُ؟ قال: دينُ إبراهيمَ، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلّا الله.

فلمَّا رأى زيد قولَهم في إبراهيم عليْهِ السَّلام خرج، فلما بَرَزَ رفَعَ يدَيْهِ، فقال: اللَّهُمَّ إني أشْهَدُك أني علَى دينِ إبراهيمَ»

وكان يُسند ظهرَه إلى الكعبة ويقول: «يا معاشرَ قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري»

وكان يحيي الموؤدة، فيقول للرجل إذا أراد أن يقتلَ ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إنْ شئتَ دفعتها إليك، وإنْ شئت كفيتك مئونتها.

مؤنة، مئونة: ما يتكلّف به من نفقة، مأكل وملبس...

***

وقد شهدَ له النبي- ﷺ- بأنّه يبعث أمة وحده...

أمّا عن سعيد بن زيد، فهو ابن عمّ عمر بن الخطاب، وأخته عاتكة بنت زيد زوجة عمر، وزوجته هي أختُ عمر فاطمة بنت الخطاب، والتي كانت سببًا في إسلام عمر بن الخطاب.

كان سعيدُ من المهاجرين الأولين، وكان من سادات الصحابة، شهد المشاهد كلّها مع النبي إلّا غزوة بدر، حيث بعثه النبي هو وطلحة بن عبيد الله لملاحقة عير قريش القافلة (أي العائدة) من الشام، فرجعَا بعد غزوة بدر، فضربَ لهما النبي بسهْمِهما وأجرهما، فكانا كَمَنْ شَهِدَها.

ثمّ شهد ما بعدها من المشاهد، والغزواتِ إلى جانبِ رسول الله ﷺ.

وشاركَ في معركة اليرموك، وكان له دورٌ بارز في المعركة. يقول حبيب بن سلمة: «اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله درّ سعيد، ما سعيد يومئذٍ إلّا مثل الأسد، لمّا نظر إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض، وجثا على ركبتيه، حتّى إذا دنوا منه وثبَ في وجوههم مثل اللَّيث، فطعن بحربَتِه أوّلَ رجُل من القوم فقتله، وأخذَ والله يقاتل راجلًا قتالَ الرجل الشّجاع البأس، فارسًا، ويعطف الناس إليه». وانتهت المعركةُ بانتصار المسلمين على الروم.

ولم يكن سعيد متأخّرًا عن رتبة أهل الشورى في السابقة والجلالة، وإنما تركَه عمر- رضي الله عنه- لئلّا يبقى له فيه شائبة حظّ لأنّه ختْنُه؛ أي صِهْره

وابنُ عمّه، ولو ذكره في أهل الشورى، لقال الرافضي: حابى ابنَ عمّه، فأخرجَ منها ولده وعصبته.

***

كان- رضي الله عنه- مُجابَ الدعوة.. فعنْ هشام بن عروة، عن أبيه أنّ أروى بنت أويس ادّعت أنّ سعيد بن زيد أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئًا بعدَ الذي سمعتُ من رسول الله؟ سمعتُه يقول: "مَن أخذ شيئًا من الأرض طَوَّقَه إلى سبع أَرَضِين".

قال مروان: لا أسألك بيّنة بعد هذا...

فقال سعيد: اللّهم إنْ كانت كاذبة، فأعْمِ بَصَرَها، واقتلها في أرضها.

فما ماتتْ حتّى عميت، وبينما هي تمشي في أرضها، إذ وقعتْ في حفرة فماتت.

***

[١٥]

الصّحابي الجليلُ
"معاوية بن أبي سفيان"
- رضي الله عنه- وأرضاه

ولِدَ- رضي الله عنه- بمكّة، وتعلم الكتابة والحساب.

قيل أنه أسلم قبلَ الفتح وأخفى إسلامه حتّى عام الفتح، وقيل أنه أسلم هو وأبوه وأمّه وأخوه يزيد يومَ فتح مكة، وقد كان كريمًا باذلًا للمال، عاملًا بكتابِ ربّه، ومحافظًا على سنة نبيه، ومدافعًا عن شريعته، قائمًا بحدوده، ومجاهدًا في سبيله.

***

كان- رضي الله عنه- أحدَ الصّحابة الذين كَثُرَ الطعنُ فيهم، والافتراء عليهم والظّلم والتشويهُ لهم، ونحن بصدد ذكْر بعضٍ من مناقبه وفضائله- رضي الله عنه-، وإنْ كنّا أقلّ من ذلك الشرف بكثيرٍ؛ ولكنْ يعلم اللهُ نيتنا في الذود عنْ صحابة رسول الله ضدّ الرافضة- هداهم الله-، ومَن على شاكلتهم.

***

"معاوية بن أبي سفيان"

كان معاوية- رضي الله عنه- موضعَ ثقة النبي- ﷺ- ولذلك جعلَه مِن حملة الكتاب الذين يكتبون الوحي له.

يلقّبه أهلُ السنة والجماعة بخالِ المؤمنين؛ لأنّه أخو أمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ.

وقد روى- رضي الله عنه- عنْ رسول الله- ﷺ- أحاديث كثيرة، وروى عنه جماعةٌ من الصحابة والتابعين.

***

تولى قيادةَ جيش إمدادٍ لأخيه الصحابي يزيد بن أبي سفيان في خلافة أبي بكر، وأمرَه أبو بكر بأن يلحق به، فكان غازيًا تحتَ إمرة أخيه، وقاتل المرتدينَ في معركة اليمامة، ثمّ أرسلهُ الخليفة أبو بكر مع أخيهِ لفتح الشام، كما شاركه فتوحاتٍ أخرى عديدة.

ولمّا استُخلف عمر بن الخطاب جعله واليًا على الأردن، ثمّ ولاه دمشق بعد موتِ أميرها يزيد (أخيه)، ثمّ ولّاه عثمان بن عفان الديار الشامية كلها وجعلَ ولاة أمصارها- أي مناطقها- تابعين له، وظلّ على ولايتها إلى أن مات.

***

هوَ مؤسّسُ الدولة الأموية في الشام، وأوّل خلفائها، وقد اتخذ دمشق عاصمةً لها.

وبعدَ حادثة مقتل عثمان بويعَ علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وأصبح خليفةً للمسلمين، فنشبَ خلاف بينه وبين معاوية لا لطمع معاوية في الخلافة، وإنّما لأخذ القصاص من قتلة عثمان، وكان يشاركه هذا الرأي الكثيرُ من الصحابة، وعلى رأسهم أمّ المؤمنين عائشة، والزبير، وطلحة رضي الله عنهم وأرضاهم، وكان علي- رضي الله عنه- يرى تأجيلَ ذلك لأنّه ليس لديهم قدرةٌ على ذلك حينها، وقد كان مصيبًا في رأيه.

وقدْ وقعت موقعةُ الجمل التي استشهد فيها الزبير وطلحة وغيرهما، ثمّ حدثتْ معركة صفين والتي انتهتْ بالتّحكيم الجبري، وحدثت الفتن والدّسائس، وكثرت الفرق، وعلى رأسهم الخوارج.

وبعدَ استشهاد علي- رضي الله عنه- تمّ الصلح بين معاوية والحسن بن علي- رضي الله عنهم-.. تنازلَ بمقتضاه الحسن عن الخلافة، وبويع معاوية، ودخل الكوفة، وبايعه الحسن والحسين، واستبشر المسلمون بهذه المُصالحة التي وضعتْ حدًّا لسفك الدماء والفتن، وسمّي هذا العام عام الجماعة.

ولمّا تولى أمرَ الناس، كانت نفوسُهم لا تزال مشتعلة عليه، فقالوا: كيف يتولّى معاوية، وفي الناس مَن هو خيرٌ، مثل الحسن والحسين؟!

فقال عبد الرحمن بن أبي عميرة، وهو أحدُ الصحابة: لا تذكروه إلّا بخير فإنّي سمعت رسول الله- ﷺ- يقول: اللّهم اجعله هاديًا مهديًّا، وَاهْدِ به.

***

وأخرجَ البخاري في صحيحه ومسلم عن أنس بن مالك عن خالته أمّ حرام بنت ملحان، قالت: نامَ النبي يومًا، ثمّ استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحكك؟ قال: «أناسٌ من أمتي عرضوا عليّ يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرّة». قالت: فادعُ الله أنْ يجعلني منهم، فدعا لها، ثمّ نام الثانية، ففعل مثلها فقالتْ قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادعُ الله أن يجعلني منهم. فقال: «أنت من الأوّلين».

فخرجتْ معَ زوجها عبادة بن الصامت غازيًا، أوّل ما ركب المسلمون البحرَ مع معاوية، فلمّا انصرفوا من غزوتهم قافلين، أي عائدين، نزلوا الشام فقربت إليها دابة لتركبها، فصرعتْها فماتت؛ لذا سميت بشهيدة البحر.

وهذا الحديث فيه منقبةٌ لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وذلك لأنّ أوّلُ جيشٍ غزَا في البحر كان بإمرة معاوية، وكانت قد روت أيضًا عن رسول الله- ﷺ- أنه قال: "أوّلُ جيش من أمتي يركبون البحرَ قد أوجبوا، وأوّل جيش مِن أمتي يغزون مدينة قيصر مغفورٌ لهم".

وقد حدث هذا أيضًا بقيادة معاوية رضي الله عنه، ومعنى أوجبوا: أي وجبتْ لهم الجنة.

وقد حذَّرَ رسولُنا الكريم من الطعن في صحابته الأخيار، وأوجب على جميعِ المسلمين أن يعرفوا لصحابته قدرهم وحقهم؛ فعنْ أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي؛ فلو أنّ أحدكم أنفقَ مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه».

والمُدُّ: مكيالٌ قديم، ونصيفه: أي نصفه.

***

وسُئِل عنه عبدُ الله بن المبارك ذاتَ مرة أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان أمْ عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إنّ الغبار الذي دخلَ في أنف معاوية مع رسول الله- ﷺ- أفضل من عمر بألفِ مرّة، صلى معاوية خلفَ رسول الله ﷺ، فقال: سمعَ الله لِمن حمده، فقال معاوية: ربّنا ولك الحمد، فما بعدَ هذا؟!

***

[١٦]

الصّحابي الجليلُ

"عبد اللّٰه بن عباس"

- رضي اللّٰه عنه - وأرضاه

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابنُ عمّ النبي ﷺ، حبرُ الأمة وفقيهُها، وإمامُ التفسير وترجمان القرآن، أمُّه هي أمّ الفضل أخت أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ.

***

ولِدَ ببني هاشم قبلَ الهجرة بثلاث سنوات، وكان النبي دائمَ الدعاء له، وكان يدْنيه منْه وهو طفل، ويربّت على كتفه، قائلًا: "اللّهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل".

كان ابنُ عباس منذُ طفولته لا يتخلّف عن مجلس رسول الله، ولا عن الصلاة خلفه، وكان الرسول يرى في ابن عمّه غلامًا نجيبًا عقله أكبر من سِنِّه، ومداركُه أوسعُ من طفولته، لا يكاد يسمع آيةً من كتاب الله حتّى يحفظَها عن ظهرِ قلب، ولا يكاد يسمع حديثًا نبويًّا حتّى يعيه ويستوعبه، وكان يجالس الكبارَ ويستمع إليهم، ولذلك فإنّه كان يزداد كل يومٍ علمًا وحكمةً وفطنة.

"عبد الله بن عباس"

كانت مدّةُ ملازمته لرسول الله ثلاثين شهرًا فقط، فكان ابن ثلاث عشرة سنة إذْ تُوفِّي رسول الله ﷺ، ورغم قِصر المدّة التي عاشها مع الحبيب المصطفى، إلّا أنّه يُعَدُّ من أكثرِ الرّواة روايةً لحديث النبي- ﷺ- وأكثرهم معرفةً بمعاني الآيات وفهمها، وكذلك معرفة معاني الأحاديث وآثارها.

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: أهدى إليّ النبي بغلة أهداها له كسرى، فركبَها بحبلٍ من شعْر، ثمّ أردفني خلفه، ثمّ سارَ بي مليًّا، ثمّ التفت فقال: يا غلام، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: "احفظِ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامَك، تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشدّة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..." إلى نهاية الحديث؛ ممّا يدلّ على دنوّ منزلته، وحبِّ رسول الله له.

***

كان محبًّا للعلم، ويتحمّل الشدائد لطلبه، فيقول رضي الله عنه: (لمّا توفي رسولُ الله- ﷺ- قلتُ لرجلٍ من الأنصار: هَلُمَّ نسأل أصحابَ رسول الله ﷺ؛ فإنّهم اليوم كثير، فقال: واعجبا لك يا ابنَ عباس! أترى الناسَ يحتاجون إليك، وفي الناس مِن أصحاب النبي مَنْ ترى؟ فتركت ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرّجل فآتيه وهو قائل (أي نائمٌ في فترة القيلولة)، فأتوسّد ردائي على بابه، فتسفي الريحُ على

وجهي التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابنَ عمّ رسول الله، ألا أرسلت إليَّ، فآتيك؟! فأقول: أنا أحقُّ أن آتيَك، فأسألك. فأسأله عن الحديث، وأتعلّم منه، قال: فبقي الرجلُ حتّى رآني وقد اجتمعَ الناس عليَّ، فقال (هذا الفتى أعقل منّي).

❋❋❋

قال: كان رسول الله- ﷺ- في بيتِ ميمونة، فوضعت له وضوءًا، فقالتْ له ميمونة: وضعَ لك عبد الله بن عباس وضوءًا، فقال: (اللّهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل).

وعن ابن عباس، قال: صلّيت خلف النبي- ﷺ- من آخر الليل، فجعلني حذاءه؛ أي إلى جواره أو بمحاذاته، فلمّا انصرف، قلت: وينبغي لأحدٍ أن يصلّي حذاءك وأنتَ رسول الله؟ فدعا الله أن يزيدني فهمًا وعلمًا.

❋❋❋

كان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يحرص على مشورته في كلّ أمر كبير، وكان إذا ذكره، قال: ذلك فتى الكهول، له لسانٌ سَؤول، وقلبٌ عَقول.

فعنْ سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بعضهم وجدَ في نفسه، فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا، ولنا أبناءٌ مثله؟

فقال عمر: إنّه مَن قد علمتم. فدعاه ذاتَ يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلّا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أنْ نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفتح علينا، وسكتَ بعضهم فلم يقلْ شيئًا، فقال لي: أكذاك تقولُ يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله- ﷺ- أعلَمَه له، قال ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وذلك علامةُ أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عمر: ما أعلمُ منها إلّا ما تقول.

❊❊❊

وصفه سعدُ بن أبي وقاص- رضي الله عنه- بقوله: "ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا، ولا أكبرَ لُبًّا- أي عقلًا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حِلمًا من ابن عباس".

ويقول عنْ نفسه رضي الله عنه: "إنّي كنت لأسأل عن الأمرِ الواحد ثلاثينَ من أصحاب رسول الله".

وعندما نشبتْ فتنة الخوارج أرسله علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- إليهم ليناقشهم فيما التبسَ عليهم فهمُه، فَسَاقَ الحجة بشكل يبهر الألباب، ومِن ذلك:

سألهم ابن عباس: ماذا تنقمونَ من علي؟ قالوا: ننقم منه ثلاثًا:

أولاهنّ: أنّه حكّم الرجال في دين الله، والله يقول: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾.

والثّانية: أنّه قاتل، ثمّ لم يأخذْ من مقاتليه سَبْيًا ولا غنائم، فلئنْ كانوا كفارًا فقد حلّت أموالهم، وإن كانوا مؤمنين فقد حرّمت عليه دماؤهم.

والثّالثة: رضي عندَ التحكيم أن يخلع عنْ نفسه صفة أمير المؤمنين استجابة لأعدائه، فإنْ لم يكن أمير المؤمنين، فهو أميرُ الكافرين.

أخذَ ابنُ عباس يفنّد أهواءهم، فقال: أمّا قولكم: إنّه حكّم الرجال في دين الله، فإنّ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، فنبّؤني بالله: أتحكيمُ الرجال في حقنِ دماء المسلمين أحقّ وأوْلى، أم تحكيمُهم في أرنبٍ ثمنُها درهم؟!

وأمّا قولكم: إنّه قاتل، فلم يسْبِ ولم يغنم، فهل كنتُم تريدون أن يأخذ عائشة زوجَ الرسول وأمّ المؤمنين سبْيًا ويأخذ أسلابَها غنائم؟!

وأمّا قولكم: إنّه رضي أن يخلع عن نفسه صفةَ أمير المؤمنين، حتّى يتمّ التّحكيم، فاسمعوا ما فعلَه الرسولُ يوم الحديبية، إذ راحَ يملي الكتاب الذي يقوم بينه وبين قريش، فقال لعلي بن أبي طالب، وقد كان كاتب صحفِ رسول الله: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمّدٌ رسول الله، فقال مبعوثُ قريش: والله لو كنّا نعلم أنّك رسولُ الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك. فاكتب:

هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله، فقال لهم الرسول: والله إنّي لرسول الله وإنْ كذّبتم، ثمّ قال لكاتبِ الصّحيفة: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله.

استمرّ الحوار بين ابن عباس والخوارج على هذا النّسق المبهر، وأسفر عن اقتناع عشرين ألفًا منهم، وعودتِهم إلى الحق.

***

توفي- رضي الله عنه- بالطائف وهو ابنُ واحدٍ وسبعين عامًا.

وقيل: مات ابنُ عباس بالطائف، فجاء طائر لم يُرَ على خلقته، فدخل نعشه ثمّ لم يُرَ خارجًا منه، فلمّا دفن تُليت هذه الآية على شفير القبر؛ أي جانبه أو حرْفه، لا يُدرَى مَن تلاها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

***

[١٧]

الصّحابي الجليلُ

"سعد بن أبي وقاص"

- رضي اللّه عنه - وأرضاه

هو أحدُ العشرة المبشّرين بالجنة، وأحدُ السابقين الأولين للإسلام، وكذلك هو أحدُ أهل الشورى الستة، ويشترك في نسبِه مع رسول الله في بني زهرة؛ فهو مِن أخوالهﷺ.

رأى- وهو ابنُ سبع عشرة سنة- في منامه أنّه يغرق في بحر الظلمات، وبينما هو يتخبّط فيه رأى قمرًا فاتّبَعه، وقد سبقه إلى هذا القمر ثلاثة، هم: زيد بن حارثة، وعلي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق. ولمّا طلع الصباح سمعَ أنّ رسول الله يدعو إلى دينٍ جديدٍ؛ فأدرك أنّ هذا هو القمر الذي رآه، فذهبَ على الفور ليلحق بركب السّابقين إلى الإسلام.

كان يتحدّث عن نفسه رضي الله عنه، فيقول: "ولقد أتى عليّ يوم وإني لثلثُ الإسلام"؛ يعني أنه كان ثالثَ أوّل ثلاثة سارعوا إلى الإسلام.

***

كان سعد بارًّا بأمّه التي عارضته لمّا علمت بإسلامه، وأرادت تنحيته عن هذا الدّين، فقالت له: يا سعْد، إنّي سأصوم عن الطعام، ولن أُفْطر حتّى تكْفر

بِمُحَمَّد، أو أنْ أموت ويُعَيِّرُك الناسُ بي، قال: والله يا أُمّي، لو كانت لك مائةُ نَفْس، فخَرَجَتْ نفْسًا نفْسا، ما تَرَكْتُ دينَ مُحَمَّد. فنزلَ قول الله تعالى: ﴿... وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

❋❋❋

هاجر سَعْدُ إلى المدينة المنورة، وشهد غزوة بدر وأحد، وثَبُتَ فيها حين ولّى الناس، وشهدَ غزوة الخندق وبايع في الحديبية، وشهد خيبر وفتح مكة، وكانت معه يومئذٍ إحدى رايات المهاجرين الثّلاث، وشهد المشاهد كلها مع النّبي، وكان من الرُّماة الماهرين.

❋❋❋

بعث رسولُ الله- ﷺ- سرية فيها سعد بن أبي وقاص إلى جانبٍ من الحجاز يُدعى "رابغ"، فانكفأ المشركون على المسلمين، فحماهم سعدُ يومئذٍ بسهامه، فكان هذا أوّل قتالٍ في الإسلام، وكان أول مَن رمى بسهمٍ في الإسلام، فقال:

"ألا هل أتى رسول الله أنّي حميت صحابتي بصدور نبلي، فما يعتدّ رام في عدوّ بسهم يا رسول الله قبلي"!

لا يوجد صحابيّ جليل فداهُ النبي- عليه الصّلاة والسلام- بِأُمِّهِ وأبيه

إلّا سعْد بن أبي وقاص؛ فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُد: "يَا سَعْد، ارْمِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي".

***

كان رسولُ الله يحبُّ سعدًا، فكان إذا أقبل، يمسك بيده ويقول: "هذا خالي، فلْيُرِني امرؤٌ خاله".

ذاتَ يوم، مرض سعد، فأتاه رسولُ الله ليزوره ويطمئنّ عليه، فتساءل سعد قائلًا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ! بَلَغَ بِي مِنْ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ أي نصفه؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ؟ قَالَ: وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلّا أُجِرْتَ بِهَا، حتّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فم امْرَأَتِكَ". ومسح -ﷺ- بيده الشّريفة الطاهرة على وجهه وصدره وبطنه، وقال: "اللّهم اشفِ سعدًا".. يروي سعدٌ هذا فيما بعد، قائلًا:"فمازلت يخيّل إليّ أني أجد بَرْد يده -ﷺ- على كبدي حتّى الساعة".

***

عن عائشة، قالت: "أرقَ رسول الله -ﷺ- ذات ليلة، فقال ليتَ

رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: فسمعنا صوت السّلاح، فقال رسول الله: مَنْ هذا؟ قال سعد بن أبي وقاص: أنا يا رسول الله جئتُ أحرسك. فنام رسول الله- ﷺ- حتّى سمعت غطيطَه".

***

وحينما اشتدّ خطرُ الفرس، أرسل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- جيشًا بقيادة سعد بن أبي وقاص، وقبلَ المعركة كانت الرسائل بين سعد وأميرِ المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، ومنها : "يا سعد بن وهيب، لا يغرّنّك مِن الله أنْ قيل خالُ رسول الله وصاحبُه؛ فإنّ الله ليس بينه وبين أحدٍ نسبٌ إلّا بطاعته".

وبالفعل، قابل سعدٌ الفرسَ في معركة القادسية، واشتدّ حصار المسلمين لهم ولأعوانهم، حتّى قتل الكثيرُ منهم، وعلى رأسهم قائدُهم رستم، ودَبَّ الرعب في باقي جنود الفرس، فكان النصرُ العظيم للمسلمين يوم القادسية.

ولم يكنْ لسعد هذا اليوم فقط في قتال الفرس، بل قابلهم في موقعة المدائن، حيث تجمّع الفرس في محاولة أخيرة للتصدي لزحف المسلمين، وأدرك سعد أنّ الوقت في صالح الفرس، فقرّر أن يهاجمهم فجأة، وكان نهر دجلة قد امتلأ عن آخره في وقتِ الفيضان، فسبحت خيولُ المسلمين في النهر وعبرتْه إلى

الضفّةِ الأخرى لتقع المواجهة، ويحقّق المسلمون نصرًا كبيرًا.

***

كان لسعد سلاحان قويَّان: رمحه ودعاؤه.

فكان- رضي الله عنه- مُسْتجاب الدعوة؛ لأنَّ النبي- ﷺ- دعا له، فقال: "اللّهم سدِّدْ رَمْيَتَهُ، وأجِبْ دَعْوَتَه". وفي روايةٍ: "اللّهم استجبْ لسعدٍ إذا دعاك".

فأثناءَ خلافة الفاروق عمر- رضي الله عنه- عَيَّن سعد أميرًا على الكوفة، وفي يوم من الأيام، شكا أهلُ الكوفة سعدًا إلى عمر، فقالوا: إنّه لا يُحسِن أن يصلِّي، فقال سعد: أمّا أنا فإنّي كنت أصلي بهم صلاةَ رسول الله، فقال عمر: ذاك الظنّ بك يا أبا إسحاق، فبعث رجالًا يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة إلّا قالوا خيرًا، حتّى أتوا مسجدًا لبني عبس، فقال رجلٌ يقال له أبو سعدة: إنّه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسريّة؛ أي لا يمشي مع الجيش.

فقال سعد: اللّهم إن كان كاذبًا، فاعْمِ بصرَه، وأطلْ عمره، وعرّضه للفتن...

قيل إنّه رؤي بعدُ يتعرّض للإماءِ في السّكك، وقد سقطَ حاجباه؛ أي طَعَن في السنِّ، فإذا سُئل يقول: كبيرٌ مفتونٌ، أصابتني دعوة سعد.

***

وعندما حدثتِ الفتنةُ في عهد الإمام علي- رضي الله عنه-، كان سعد

بعيدًا عنهم واعتزلها، وما حضرَ موقعةَ الجمل ولا صفّين، وأمر أهله وأولاده ألّا ينقلوا إليه شيئًا من أخبارها.

***

عنْ مصعب بن سعد أنه قال: كان رأسُ أبي في حِجْري وهو يقضي، أي يُحتَضر، فبكيت، فرفعَ رأسَه إلي، فقال: أي بني، ما يبكيك؟

قلت: لمكانك، وما أرى بك.

قال: لا تَبْكِ؛ فإنّ الله لا يعذبني أبدًا، وإنّي من أهل الجنة.

وقدْ أوصى أهلَه أن يكفّنوه في ثوبٍ قديمٍ كان عنده، وقال لهم: "لقد لقيتُ المشركين فيه يومَ بدر، ولقد ادّخرته لهذا اليوم".

***

[١٨]

الصّحابي الجليلُ

"عامر بن فهيرة"

- رضي الله عنه- وأرضاه

هو أحدُ السّابقين للإسلام، فقد أسلمَ وهو مملوكٌ قبلَ أن يدخل الرسول- ﷺ- دارَ الأرقم بن أبي الأرقم، وعذب مع المستضعفين بمكّة ليرجع عن دينه، فأبَى وتحمّل ألوانًا من التنكيل والتعذيب، وضرب مثلًا في الصبر والثبات.

فتقدّم الصديق- رضي الله عنه- إلى مولاه لشرائه، وأعتقَه مع نفرٍ من الضّعفاء الذين كانوا من خيرةِ الصّحابة، وكان مِن بينهم سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنهم.

فنزلَ الوحي بالثّناء على فعل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، بقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

وأصبحَ مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان يغدو إلى مجالس رسول الله- ﷺ- بصفة دائمة؛ يتعلّم من هديه، وينهل من علمِه وأدبِه وخلقه، كما كان من كتبةِ الوحي القرآني قبل الهجرة النبوية.

***

لابْنِ فُهيرة دورٌ بارز في الهجرة النبوية، حيث كان يرعى غنمَ أبي بكر في

رعيان أهل مكة، فإذا أمسى كان يأتي إليهما بالغنم، يحتلبها ويسقيهما لبَنَها، وإذا غَدَا عبد اللّه بن أبي بكر من عندهما، اتّبع عامر بن فهيرة أثرَه بالغنم حتّى يُعَفِّيَ عليه، أي يزيله ويمحيه؛ فلا يهتدي المشركون إلى مكانهما، حيث كان عبد الله بن أبي بكر يتردّد عليهما أثناء تخفّيهما في غار ثور، حاملًا أخبار القوم في مكة.. وبهذا نالَ عامر بن فهيرة شرفَ المشاركة في أعظمِ رحلةٍ عرفتها الإنسانية.

وعندما ارتحل الرسولُ ﷺ، وأبو بكر- رضي الله عنه- مِن الغار هاجرَ معهما، فحمله أبو بكر- رضي الله عنه- خلفَه، وكان معهم دليلُهم عبدُ الله بن أريقط الذي كان مشركًا.

فكان عامر بن فهيرة من المهاجرين الأوّلين أيضًا.. كما ذكرت عائشة- رضي الله عنها- في حديثٍ طويل:

".... كان عامر بن فُهَيْرَة للطّفيل بن الحارث أخي عائشة لأمّها أمّ رومان، فأسلم عامر، فاشتراه أبو بكر، فأعتقه، وكان يرعى عليه مَنيحة من غنم له...."

والمنيحة بمعنى: المنحة أو الإعارة، أو القرض، فيستفيد من الناقة أو الشاه من لبنِها ووبرِها وصوفها.

***

كان سيدُنا عامر بن فهيرة- رضي الله عنه- من البدريّين الذين شهدوا

بدرًا، وكما هو معروفٌ أنّ أهلَ بدر لهم السبقُ في الفضل عن إخوانهم من سائر الصّحابة الكرام، كما شهد- رضي الله عنه- غزوةَ أحد، ثمّ واصل مسيره في خدمة الصديق رضي الله عنه. حتّى جاء العام الرابع من الهجرة النبوية المشرفة، وبناءً على دعوةٍ وإلحاح من أحدِ أفراد قبيلة بني سليم، وهو أبو براء عامر بن مالك، والملقّب بملاعب الأسنة، التقى برسول الله ﷺ، وقامَ بإهدائه فرسيْن وراحلتين، إلّا أنّ الرسول- ﷺ- رفضَ هديته لأنّه مشرك، وعرض عليه الإسلام، فرفض، ثمّ طلب من الرّسول- ﷺ- أن يبعث من رسله مَن يشاء إلى أهل نجد، متعهّدًا بأن يكون حاميًا ومجيرًا لهم، وكان رجلًا مسموع الكلمة في قومِه بني عامر، فبعث الرسول- ﷺ- وفدًا من سبعين رجلًا من خيار المسلمين، كانوا يسمّونهم القرّاء في زمانهم، وهُم من الصحابة الكرام، وكان مِن بينهم عامر بن فهيرة رضي الله عنه.

كانوا يحتطبون بالنهار، ويصلّون بالليل ويتدارسون القرآن، وكانوا- رضي الله عنهم- على علم بعلوم الدّعوة النبوية المطهرة، ويحفظون القرآن الكريم متفقّهين في أمور دينهم، تمتلئ قلوبهم طهارة، وسرائرهم نقاءً.

بعثهم رسولُ الله- ﷺ- ليعلموا قبائل بني سليم وبني عامر وغيرهم من القبائل أمورَ دينهم، ويرشدونهم إلى طريق الهداية.

وصلَ وفدُ الشباب السّبعين إلى بئرمعونة، فوقفوا جميعًا يتشاورون

كعادتهم، قال بعضهم لبعض:

- أيّكم يبلغ رسالة رسول الله- ﷺ- أهل هذا الماء؟ فقال أحدُهم، وهو الصحابي الجليل حرام بن ملحان رضي الله عنه: أنا.

فخرجَ بكتاب رسول الله- ﷺ- إلى رجلٍ منهم يقال له عامر بن الطفيل، فلمّا أتاهم حرام بن ملحان، لم ينظرْ عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله ﷺ، فقال حرام بن ملحان رضي الله عنه:

- يا أهلَ بئرمعونة، إنّي رسولُ رسولِ الله إليكم، وإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فآمنوا بالله ورسوله.

فخرج إليه رجلٌ برمح، فضربه به في جنبه حتّى خرج من الشق الآخر. ولم يكتفِ عدوّ الله عامر بن الطفيل بقتلِ هذا الصّحابي الجليل، بل استدعى قبائلَ الحي لقتل هذا الوفد مِن خيرة الصحابة، فأبى بنو عامر أن يجيبوه إلى طلبه، وقالوا لا نخفرُ ذمّة أبي براء (وهو الدّاعي لزيارة وفد رسول الله-ﷺ- إليهم). (أي: لن ننقض عهده)، وقد عقدَ لهم عقدًا وجوارًا.

فذهب عامر بن الطفيل إلى قبائل بني سليم، فأجابوه، وخرجوا حتّى أحاطوا الصّحابة الكرام في رحالهم. ولمّا ضرب عامر بن فهيرة- رضي الله عنه- بالرّمح، ونفذَ من ظهره إلى صدره، قال:

- فزتُ وربّ الكعبة.

لم ينجُ من هذه المذبحة إلّا رجلان، هُمَا الصحابي الجليل كعب بن

زيد رضي الله عنه، الذي تركوه بين القتلى وبه رمق، فعاش حتّى قتل يوم الخندق ورجلٌ آخر كان يراقب المكان، وهو الصّحابي الجليل عمرو بن أميّة الضمري، الذي أخذوه أسيرًا.

روى البخاريّ عنْ عروة بن الزبير رضي الله عنهما، قال: "لمّا قتل الذين ببئر معونة، وأسرَ عمرو بن أمية الضمري، قال له عامر بن الطّفيل: مَن هذا؟ وأشارَ إلى قتيلٍ، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة. قال: لقد رأيتُه بعدما قتل رُفع إلى السماء، حتّى أنّي لأنظر إلى السماء بينَه وبين الأرض، ثمّ وضع".

وكان رفعُ الملائكة تعظيمًا لعامر بن فهيرة رضي الله عنه، وترهيبًا وتخويفًا للكفار.. حتّى أنّ الذى قتله وهو رجلٌ من كلاب، يقال له جبّار بن سلمى، سأل: ما قولُه فزتُ والله؟ قالوا: الجنة. فأسلمَ جبّار لَما رأى مِن أمرعامر بن فهيرة، فحسن إسلامه.

ويعدّ هذا من مناقبِه رضي الله عنه؛ حيث رفعتْه الملائكة بعد قتله، وكذلك كان سببًا في إسلام قاتله.

***

قُتل عامرُ بن فهيرة رضي الله عنه، وهو ابنُ أربعين سنة، وقال رسول الله ﷺ: "فإنّ الملائكة وارتْ جثته، وأنزل عليّين".

[١٩]

الصّحابي الجليلُ

"أسامة بن زيد"

- رضي الله عنه- وأرضاه

ولِدَ- رضي الله عنه- بمكّة في السنة السابعة قبل الهجرة، ونشأ ولم يعرف إلّا الإسلامَ لله تعالى، ولم يَدِنْ بغيره، وعاشَ في كنف النبي ﷺ.

***

وُلِدَ لأبويْن مُسلمين كريمين، من السّابقين إلى الإسلام، فأبوه زيد بن حارثة، حِبُّ رسول الله، وأمّه السيدة أمّ أيمن حاضنة رسول الله ومربّيته، وهي إحدى المؤمنات المجاهدات اللاتي شاركنَ في المعارك الإسلامية مع رسولِ الله ﷺ، فقد شهدتْ أحدًا، وكانت تسقي المسلمين، وتداوي الجرحى، وشهدتْ غزوة خيبر، وروتْ- رضي الله عنها- بعضًا من أحاديث رسول الله.

وقد استشهدَ زيد بن حارثة في مؤتة، واستشهدَ أيمن أخو أسامة من أمّه في حنين، ففي هذه الأسْرة المؤمنة المجاهدة نشأ هذا القائد الفارس الفذُّ، وتربّى على معاني الجهاد والدفاع عن الإسلام.

***

هاجرَ معَ رسول الله- ﷺ- إلى المدينة، وكان رسول الله يحبّه حبًّا شديدًا؛

فكان عندَه كبعض أهله.

كان النبي- ﷺ- يَضُمّ أسامة والحسنَ بن علي رضي الله عنهما، ويقول: "اللّهم إنّي أحبّهما، فأحِبَّهما".

وكان يردفُه- ﷺ- على دابّته، أي يركب وراءه دابته.

وقد ردَّه- ﷺ- في غزوة أحدٍ لصغر سنّه، واشترك في غزوةِ مؤتة التي استشهدَ فيها والدُه، واشترك في فتح مكة، وفي غزوة الخندق، وكان ممّن ثبتَ مع رسول الله في حنين، واشترك في محاربة المرتدّين عن الإسلام في خلافةِ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أصغرُ قائد في الإسلام.

عنْ أبي ظبيان، قال: سمعت أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- يقول: بعثنا رسولُ الله- ﷺ- إلى الحرقة، فصبّحَنا القوم فهزمناهم، ولحقتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلًا منهم، فلمّا غشيناه، قال: لا إله إلّا الله، فكفَّ الأنصاري، فطعنتُه برمحي، حتّى قتلته، فلمّا قدمنا، بلغ النبي ﷺ، فقال: "يا أسامة، أقتلتَه بعدما قال لا إله إلّا الله؟" قلت: كان متعوّذًا، فمازال يكرّرها حتّى تمنّيت أنّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وفي رواية...

فقلت: "أعطِي الله عهدًا أنْ لا أقتلَ رجلًا يقول لا إله إلّا الله".

***

كان أسامة شديدَ التّواضع، حادّ الذكاء، يبذل أقصى ما عنده في سبيل دينه

وعقيدته، ممّا جعل رسولَ الله- ﷺ- يوليه إمارة الجيش الإسلامي وهوَ في الثامنة عشرة من عمره، وفي الجيش كبارُ الصّحابة من المُهاجرين والأنصار وأصحاب السبق في الإسلام.

جعلَه قائدًا لجيش المسلمين لغزْو الروم، فكان أميرًا على جيش فيه أبو بكر وعمر، فاستكثرَ بعضُ المسلمين على أسامة كلّ هذا، ولمّا علم النبيُّ صعد المنبر، وقال:

"إنْ تطعنوا في إمارته (أي إمارة أسامة)، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبْل، وأيمُ الله، إنْ كان لخليقًا للإمارة (أي جديرًا بها)، وإنْ كان لمن أحبّ الناس إليَّ (يقصد زيد بن حارثة)، وإنّ هذا لمِن أحب الناس إليَّ بعده"

***

أهمَّ قريش شأنُ المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: مَن يكلّم فيها رسول الله ﷺ؟

فقالوا: ومَن يجترئ عليه إلّا أسامة بن زيد، حبّ رسول الله؟! فكلّمه أسامة، فقال رسول الله: "لِمَ تشفع في حدّ من حدود الله؟ ثمّ قام النبي، فخطب، فقال: إنّما أهلكَ الله الذين من قبلكم، أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحد، وأيْمُ الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يَدَها"

***

قال أسامة: لمّا ثقلَ رسولُ الله (أي مرِضَ مرَضَ الموت)، فدخلت عليه، وقد أصمت فلا يتكلّم، فجعل يضعُ يديه علي، ثمّ يرفعهما، فأعرفُ أنّه يدعو لي.

***

يموتُ النبي- ﷺ- قبل أن يتحرك جيش أسامة إلى غايته، وقد أوصى أصحابَه قبل وفاته أنْ يسارعوا بتحريك جيش أسامة، فقال لهم: "أنفذوا بعث أسامة، أنفذوا بعث أسامة".

تولّى أبو بكر الخلافة بعدَ رسول الله، وأصرَّ على إنجاز وصيته ﷺ، فيقول له عمر: إنّ الأنصار ترى أنْ يتولى قيادة الجيش مَن هو أكبرُ سنًّا من أسامة، فيغضبُ أبو بكر- رضي الله عنه- ويقول: ثكلتك أمُّك يا ابن الخطاب، استعملَه رسولُ الله، وتأمرني أن أنزعه؟ والذي نفسي بيده، لو ظننتُ أنّ السباع تخطفني، لأنفذت بعث أسامة.

يخرج القائدُ أسامة من المدينة بجيشه، ويخرج معه أبو بكر مودعًا، وبينما أسامة راكب على فرسِه وأبو بكر يسير على قدميه، فيستحيي أسامة من هذا الموقف، ويقول لأبي بكر: يا خليفةَ رسول الله، والله لتركبنّ أو لأنزلن، فيقولُ أبو بكر: والله لا تنزل، ووالله لا أركب، وما عليَّ أن أُغَبِّرَ قدمي في سبيل الله ساعة. ثمّ يستأذن أبو بكر من أسامة أن يُبقي معه عمر في المدينة ليعينَه على أمور الحكم، فيُعطي أعظمَ قدوةٍ في استئذان القائد مهما صغر سنّه.

انطلقَ جيشُ أسامة ليهاجم القرى التي حدّدها له رسول الله، وخليفته أبو بكر، فينتصرُ عليهم ويأسِرُ منهم الكثير، ويجمع الغنائم، ويعود إلى المدينة منتصرًا بعد أنْ لقّن الروم درسًا لا ينسى. ويعودُ الجيش بلا ضحايا، فيقول المسلمون يومئذ: ما رأينا جيشًا أسلم من جيش أسامة.

***

قالت السيدةُ عائشة رضي الله عنها: ما ينبغي لأحدٍ أن يُبغِضَ أسامة بن زيد بعدما سمعتُ رسول الله- ﷺ- يقول: "مَن كان يُحِبُّ الله ورسوله؛ فليحبَّ أسامة".

***

عندما كان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يقسّم أموال بيت المال على المُسلمين، يجعل نصيبَ أسامة منها أكبرَ من نصيب ابنه عبد الله، فيقول ابن عمر لأبيه: لقد فضّلت عليَّ أسامة، وقد شهدتُ مع رسول الله ما لم يشهد، فيردّ عليه عمر قائلًا: إنّ أسامة كان أحبَّ إلى رسول الله منك، وأبوه كان أحبَّ إلى رسول الله من أبيك.

***

ولَمَّا نشبتِ الفتنة بين علي ومعاوية- رضي الله عنهما- وقف أسامة محايدًا، معَ حبّه الشديد لعلي رضي الله عنه، وبعث إليه، يقول: إنّك لو كنت في شدق

الأسد لأحببتُ أن أدخل معك فيه، ولكنْ هذا أمرٌ لم أره، أي لم يكن لي رأيٌ فيه، ولزم دارَه فترةَ النزاع حتّى لا يقتل مسلمًا يقول لا إله إلّا الله.

***

كان- رضي الله عنه- مواظبًا على صوم يومي الاثنين والخميس، حتّى في كبرِه وضعفه؛ لأنّ النبي- عليه الصلاة والسلام- قال له: "ذانك يومان تُعرَض فيهما الأعمال على ربّ العالمين، فأحبّ أن يُعرض عملي وأنا صائم".

***

وفي أواخرِ خلافة معاوية، أسلم- رضي الله عنه- روحَه الطاهرة للقاء ربه، فقد كانَ من الأبرار المتّقين، ومات بالمدينة المنورة.

***

[٢٠]

الصّحابي الجليلُ
"عبد الله بن مسعود"
- رضي الله عنه- وأرضاه

كان عبدُ الله بن مسعود من السّابقين الأولين في الإسلام، حيث أسلم قبل أن تصبحَ دارُ الأرقم مقرًّا لتجمّع أصحاب النبي ﷺ، وقيل إنّه سادسُ ستة أسلموا، وهو أيضًا ممّن هاجروا الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وممّن أدركوا القبلتين، وأحدُ رواة الحديث النبوي الشريف.

***

روى عبد الله بن مسعود عن قصّة إسلامه، فقال: «كنتُ أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط، فمرّ بي رسول الله، وأبو بكر، فقال: يا غلام، هل مِن لبن؟ قلت: نعم، ولكني مؤتمن. قال: فهلْ من شاة لم ينزّ عليها الفحل؟ فأتيته بشاةٍ، فمسحَ ضرعَها، فنزلَ لبن، فحلبَ في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر. ثمّ قال للضّرع: اقلُص، فقلص. ثمّ أتيته بعدَ هذا، فقلت: يا رسولَ الله، علّمني من هذا القول، فمسحَ رأسي، وقال: إنّك غلام مُعَلَّمٌ».

***

أسلم عبدُ الله بن مسعود، كما أسلمتْ أمّه أمّ عبد، وكان لها صحبة، (أي: كانت صحابية جليلة)، وكان النبي - ﷺ- يكنّيه بأبي عبد الرحمن.

"عبد الله بن مسعود"

لزمَ ابنُ مسعود النبيَّ في مكة، وكان جريئًا في الدّين، فكان أوّل مَن جهر بالقرآن في مكّة بعد النبي ﷺ، فقاسى ما قاساه المسلمون الأوائل من اضطهادِ قريش، ممّا اضطرّه إلى الهجرة إلى الحبشة، تحت وطأة هذا الاضطهاد لينْجو بنفسه وبدينه. ثمّ عاد بعدَ سنواتٍ إلى مكة، قبل أنْ يغادرها مجدّدًا مهاجرًا إلى يثرب، بعد أنْ أذن النبي لأصحابه بالهجرة إليها. وما أنْ هاجر ابنُ مسعود حتّى لزم هو وأمّه خدمة النبي ﷺ، وقد حظي بمنزلة عاليةٍ عند النبي، الذي أوْلاه ثقته، فكان ابن مسعود صاحبَ سواد النبي أي: سرِّه، ووساده أي: فراشه، وسواكه، ونعليْه، وطهوره، وكان هو مَن يسترَ النبي- ﷺ- إذا اغتسل، ويوقظُه إذا نام، ويُؤنسه إذا مشي؛ لذا، فقد كان كثيرَ الولوج على النبيّ، حتّى ظنّ أبو موسى الأشعري حين هاجرَ من اليمن إلى المدينة، أنّ ابن مسعود وأمّه من أهل بيت النبي لكثرة دخولِهما وخروجهما عليه.

وقد شهد ابنُ مسعود المشاهدَ كلّها مع النبي ﷺ، وكان هو مَن أجهزَ على أبي جهل يومَ بدر بسيف أبي جهل، بعد أن ضربه ابنا عفراء. وكان أيضًا ممّن ثبتوا مع النبي يوم أحد.

***

كان- رضي الله عنه- خفيفَ اللحم، نحيفًا، قصيرًا، شديد الأدمة (أي: السواد)، وكان مِن أجود الناس ثوبًا أبيض، ومن أطيب الناس ريحًا، وكان يُعرف باللّيل بريح الطيب.

***

"عبد الله بن مسعود"

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود- رضي الله عنه-: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: "مِمَّ تَضْحَكُونَ؟" قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ".

كان لملازمة ابن مسعود للنبيّ محمد أثرُها في سعةِ علمه بتفسير القرآن، حيث أخذَ من فم النبي مباشرة بضعًا وسبعين سورة.

وكان- رضي الله عنه- حَسنَ الصّوت بقراءة القرآن، ويحبّ الرسول أن يسمعه منه.

وقد روى ابنُ مسعود أنّ النبي قال له يومًا: «اقرأ عليّ سورة النساء»، فتعجّب ابن مسعود وقال: «أقرأ عليك وعليك أُنزل؟»، فقال ﷺ: «إنّي أحبّ أن أسمعه من غيري»، فقرأ عليه، حتّى بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، ففاضت عينا النبي.

قال ﷺ: «مَن أحبّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد».

***

كان- رضي الله عنه- مُستجابَ الدّعوة، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله- رضي الله عنه-: أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو، فَدَخَلَ

النَّبِيُّ -ﷺ- وَهُوَ يَدْعُو، فَقَالَ: "سَلْ تُعْطَهْ"، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي أَعْلَى غُرَفِ الْجَنَّةِ، جَنَّةِ الْخُلْدِ.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَغْدُوَنَّ إِلَيْهِ فَلَأُبَشِّرَنَّهُ، قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَيْهِ لِأُبَشِّرَهُ فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَبَشَّرَهُ، وَلَا وَاللَّهِ مَا سَبَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا وَسَبَقَنِي إِلَيْهِ.

كما أوصى النّبي، فقال: «استقرئوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة».

قال حذيفة بن اليمان: "ما أعلمُ أحدًا أقرب سمتًا (أي: هيئة)، ولا هديًا ولا دَلًّا (أي: سكينة ووقارًا) من رسول الله، حتّى يواريه جدارُ بيته من ابن أمّ عبد" (أي: عبد الله بن مسعود).

***

بعدَ وفاة النبي ﷺ، شارك ابنُ مسعود في الفتح الإسلامي للشّام، وشهد معركة اليرموك. ثمّ جاءه أمر من الخليفة عمر بن الخطاب بالانتقال إلى الكوفة ليعلّم أهلها أمورَ دينهم، وليعاون أميرها الجديد عمار بن ياسر، وكتب عمرُ إلى أهل الكوفة، فقال: «إنّي قد بعثت عمار بن ياسر أميرًا، وعبد الله بن مسعود معلمًا، ووزيرًا، وهمَا من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ،

من أهل بدر، فاقتدوا بهما، وأطيعوا، واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي».

وقد تفرّغ ابنُ مسعود لخدمة القرآن وأهله، فكان يملي المصاحف عن ظهر قلب في الكوفة.

***

لمّا مرضَ عبدُ الله عادَه عثمان، فقال: "ممّا تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمرُ لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه".

وقد مات- رضي الله عنه- بالمدينة، ودفن بالبقيع.

***

[٢١]

الصّحابي الجليلُ

"أبَيّ بن كعب"

- رضي الله عنه- وأرضاه

هو أبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، له كنْيتان: أبو المنذر، كنَّاه بها النّبيﷺ، وأبو الطفيل، كنَّاه بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

***

تربّى على يدِ الرسول الكريم ﷺ، وأسلمَ مبكرًا، واشتهر بزهْده ووَرَعه وإيمانه، وكثرة عبادته؛ فهو قارئ وفقيهٌ وكاتب للوحي وراوٍ للحديث النبوي.

شهدَ بدرًا، وبيعة العقبة الثانية، وشهد مع النبي المشاهد كلها، وكان أحد أربعة جمعوا القرآن في حياته ﷺ.

***

روى أنس بن مالك عن النبي قوله: "أرحمُ أمّتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقُهم حياء عثمان، وأعلمُهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيدُ بن ثابت، وأقرؤهم أبيّ بن كعب، ولكلّ أمّة أمين، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

"أبيّ بن كعب"

وعنِ النبي أنّه قال: "خُذُوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة".

كما روى أنس عن النبي - ﷺ - أنّه قال: "أقرأ أمتي أبيّ".

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ النَّبِيُّ لأُبَيٍّ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾"، قَالَ: وَسَمَّانِي؟! قَالَ: "نَعَمْ"، فَبَكَى.

عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسولُ الله: "يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتابِ الله معك أعظم؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "يا أبا المنذر، أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، فضربَ في صدري، وقال: "والله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ" (أي: هنيئًا لك).

وكان - ﷺ - يستخلفُه لإمامة المسلمين في الصلاة، كما كان - رضي الله عنه - يُعلِّم، ويلقّن الناس القرآن الكريم وأصول الدين والأحاديث النبوية الشريفة حتّى بعد وفاة الرسول ﷺ.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "كنت عند رسول الله - ﷺ - في يوم عيد، فقال: ادْعوا لي سيّد الأنصار، فدعوا أبي بن كعب، فقال: يا أبيّ، ائتِ بقيعَ المصلى، فأمر بكنسه..." الحديث.

وقال صحابي: أتيتُ عمرًا، وقد أعطيت منطقًا فأخذت في الدنيا، فصغرتها، فتركتها لا تسوى شيئًا، وإلى جنبه رجلٌ أبيض الرأس واللحية والثياب، فقال: كلّ قولك مقارب إلّا وقوعك في الدنيا، هل تدري ما الدنيا؟ فيها بلاغنا، أو قال: زادنا إلى الآخرة، وفيها أعمالنا التي نجزى بها، قلت: مَن هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيّد المسلمين، أبيّ بن كعب .

وعنْ أبي بن كعب، أنّ رسول الله- ﷺ- صلّى بالناس، فترك آية، فقال: "أيُّكم أخذَ عليّ شيئًا من قراءتي؟ فقال أبيٌّ: أنا يا رسول الله، تركتَ آية كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: قد علمتُ إنْ كان أحدٌ أخذها عليّ فإنّكَ أنت هو".

***

كان- رضي الله عنه- مُستجاب الدعوة، فعن ابن عباس- رضي الله عنه- قال: قال عمرُ بن الخطاب: اخرجوا بنا إلى أرض قومنا، قال: فخرجنا، فكنتُ أنا وأبيّ بن كعب في مؤخَّر الناس، فهاجت سحابة، فقال أبيٌّ: اللهم اصرفْ عنّا أذاها، فلحقناهم وقدِ ابتلّت رحالهم، فقال عمر: أمَا أصابكم الذي أصابنا؟ قلت: إنّ أبا المنذر دعا الله- عزّ وجلّ- أنْ يصرف عنّا أذاها، فقال عمر: ألا دعوتُمْ لنا معكم؟!

***

"أبيّ بن كعب"

قال الرّسولُ ﷺ: "ما مِنْ شيءٍ يصيب المؤمن في جسده إلّا كفَّر الله عنه به من الذنوب".. فقال أبيّ بن كعب: اللهم إنّي أسألك أن لا تزال الحُمّى مُضارِعةً لجسدِ أبي بن كعب حتّى يلقاك، لا يمنعه من صيام ولا صلاة ولا حجّ ولا عُمرة، ولا جهاد في سبيلك.. فارتكبتْه الحمى، فلم تفارقْه حتّى مات، وكان في ذلك يشهدُ الصلوات، ويصوم ويحجّ ويعتمر ويغزو.

❊❊❊

يقول عتيّ السعدي: قدمتُ المدينة في يوم ريحٍ وغبرة، وإذا الناس يموج بعضُهم في بعض، فقلت: ما لي أرى الناسَ يموجُ بعضهم في بعض؟ فقالوا: أمَا أنت من أهل هذا البلد؟ قلت: لا. قالوا: مات اليومَ سيد المسلمين، أبيّ بن كعب.

❊❊❊

[٢٢]

الصّحابي الجليلُ
"عمّار بن ياسر"
- رضي الله عنه- وأرضاه

كان أبوه ياسرُ بن عامر قد قدِمَ من اليمن إلى مكة مع أخويه الحارث ومالك يبحثونَ عن أخٍ لهم، فرجع أخواه وأقام ياسر، وحالفَ أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، فأحبّه وزوّجه بجاريته سمية بنت خياط التي ولدتْ له عمارًا، فأعتقه أبو حذيفة ثمّ مات.

كان عمّار من السّابقين إلى الإسلام، حيث أسلم مع صهيب بن سنان في ساعةٍ واحدة في دار الأرقم، وقد أسلم كذلك أبوه ياسر، وأمّه سمية، وأخوه عبد الله.

ولمّا كان عمار من الموالي في مكة، ولم تكنْ له قبيلة تمنعه، أي تدافع عنه ويحتمي بها، فقد استضعفَ هو وأهلُه، وعُذّبوا ليتركوا دينهم.

وقدْ قال عبد الله بن مسعود: "أوّل مَن أظهر إسلامه سبعة: رسول الله وأبو بكر وعمّار وأمّه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأمّا رسول الله فمنعه الله بعمّه، وأمّا أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمّا سائرهم فألبسهم المشركون أدراعَ الحديد، وصفدوهم في الشمس..." إلى آخر الرواية.

"عمّار بن ياسر"

كان بنو مخزوم يخرجونَ بعمّار بن ياسر وأبيه وأمّه إذا حميت الظهيرة، يعذّبونهم برمْضاء مكة (أي الرمل الحار من شدة حرارة الشمس)، فيمرّ بهم رسولُ الله- ﷺ- فيقول: "صبرًا آل ياسر، فإنَّ موعدَكم الجنة".

ماتَ ياسر- رضي الله عنه- من شدّة التعذيب، وأمّا أمّه فقتلوها وهي تأبى إلّا الإسلام، فكانت أوّلَ شهيدة في الإسلام.

عذّب المشركون عمارًا بالنار، فكان النبي- ﷺ- يمرّ به فيُمْرر يدَه على رأسه، ويقول: "يا نارُ كوني بردًا وسلامًا على عمار، كما كنتِ على إبراهيم".

شدّدوا العذاب على عمار- رضي الله عنه- حتّى كان يفقد وعيَه، وقالوا له: لا نتركك حتّى تسبّ محمدًا، أو تقول في آلهتنا خيرًا. فوافقهم على ذلك مُكْرَهًا. فلمّا أتى رسولَ الله ﷺ، قال: ما وراءك؟ قال: شرّ يا رسولَ الله، ما تُرِكْتُ حتّى نِلْتُ منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبَك؟ قال: أَجِدُ قَلْبِي مطمئنًّا بالإيمان، قال: فإن عادوا، فَعُدْ. فأنزل الله تعالى قوله ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.

***

كان لعمّار مكانتُه الرفيعة عند رسول الله ﷺ، فقد روى أنسُ بن مالك عن النبي قوله: "ثلاثة تشتاق إليهم الجنة: عليّ وسلمان وعمار".

وروى علي بن أبي طالب أنّ عمارًا استأذن على النبي ﷺ، فقال: مَن هذا؟ قال: عمار، قال: "مرحبًا بالطيّب المُطَيَّب".

وعنِ ابن مسعود، قال: سمعتُ النبي- ﷺ- يقول: "ما خُيِّرَ ابنُ سمّية بين أمرين إلّا اختار أيسرهما".

وكان بينَ خالد وعمّار كلام، أيْ خلاف، فشكاه خالد إلى النبي ﷺ، فقال رسولُ الله: مَن يعادِ عمارًا يعادِه الله، ومَن يبغض عمارًا يبغضه الله.

***

عن أبي سعيد، قال: أمرنا رسولُ الله- ﷺ- ببناء المسجد (المقصود: مسجد قباء)، فجعلنا ننقل لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتيْن، فترّب رأسه، أي أصابه التراب، قال: فحدّثني أصحابي، ولم أسمعه مِن رسول الله- ﷺ- أنّه جعل ينفض رأسَه ويقول: "ويحك يا ابنَ سمّية، تقتلك الفئة الباغية"

شهدَ عمار مع النبي- ﷺ- غزواته كلها وكذلك بيعة الرّضوان.

وبعدَ وفاة النبي ﷺ، شارك في حروب الردة، واستبسلَ يوم اليمامة لمّا اشتدّ القتال، ورأى تأزُّم الموقف، فاعتلى صخرة، وصاح: "يا معشر المسلمين، أمِن الجنة تفرّون؟ أنا عمار بن ياسر، هلموا إليّ". وقد قطعت أذنُه يومئذ، فكانت تتذبذب، وهو يقاتل أشدّ القتال.

***

انحازَ عمار إلى جانب عليّ بن أبي طالب في حربه ضدّ معاوية بن أبي سفيان بعدَ مقتل عثمان بن عفان، فشهد موقعة الجمل، ثمّ وقعة صفين.

وقُتل عمار بن ياسر في موقعة صفّين سنة ٣٧ هـ، وكان عمره ٩٣ سنة، وهو يقاتلُ في صفوف جيش عليّ بن أبي طالب، شيخًا طاعنًا في السن.

***

[٢٣]

الصّحابي الجليلُ
"معاذ بن جبل"
- رضي الله عنه- وأرضاه

أسلم- رضي الله عنه- وعمرُه ثماني عشرة سنة، على يد مصعب بن عمير، وشهدَ بيعة العقبة الثانية، وكان شابًّا أمردَ، أي: لم تنبت لحيته بعد، ثمّ شهد معَ النبي- ﷺ- المشاهد كلها، واستبقاه في مكة بعدَ فتحها ليُعلّم الناس القرآن ويفقههم في الدين.

***

كان معاذ بن جبل طويلًا، وحَسنَ الشّعر، وعظيم العينين، أبيض، وبرّاق الثّنايا؛ أي أسنانه بيضاء لامعة، كما كان- رضي الله عنه- جميل الجوهر، مهيبًا، وقورًا، تخرج منه الكلمات كأنّها لؤلؤ مرصوص، يسرّ الحاضرين بجلسته، فتنجذبُ إليه النفوس عند الاستماع إليه، وكان شابًّا سمحًا، من أفضلِ شباب قومه، كريمًا، جوادًا، وسخيًّا.

***

عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: كنت رديفَ النبي على حمار، فقال لي : يا معاذ، أتدري ما حقّ الله على العباد، وما حقّ العباد على الله؟ قلت: اللهُ ورسوله أعلم، قال: حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقّ

العباد على الله أن لا يعذّب مَن لا يشرك به شيئا، قلت: يا رسولَ الله، أفأبشِّرُ الناس؟ قال: لا تبشّرهم فيتّكِلوا.

و(رديف) بمعنى رادف، أي: راكبٌ معه خلفه، وهذا لمكانته العظيمة عند رسول الله، ولتواضع نبينا الكريم ﷺ.

***

قال أنس بن مالك: جمعَ القرآن على عهد رسول الله- ﷺ- أربعة، كلّهم من الأنصار؛ أبي بن كعب، وزيد، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد أحد عمومتي.

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي- ﷺ- قوله: "خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأُبي، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة"

كما أثنى- ﷺ- على معاذ، فقد روى أنس بن مالك قوله: "أرحمُ أمتي بأمّتي أبو بكر، وأشدّها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد، ولكلّ أمّة أمينٌ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة".

***

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذ، لَاتَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

والمقصودُ بدُبر كلّ صلاة: أي بعدَ الانتهاء من التشهد الأخير وقبل التسليم.

كما قال ﷺ: "معاذُ أمامَ العلماء يوم القيامة برتوةٍ أو رتوتين".

والرّتوة: أي الخطوة أوالمنزلة.

وكان له منزلتُه بين صحابة رسول الله ﷺ، فقال عنه عمر بن الخطاب: "مَن أرادَ الفقه، فليأتِ معاذ بن جبل".

كان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يستشيره كثيرًا، وكان يقول في بعضِ المواطن التي يستعين فيها برأي مُعاذ وفقهه: لولا معاذ بن جبل لهلك عمر.

وقال عبد الله بن مسعود: "إنّ معاذ بن جبل كان أمّة، قانتًا لله حنيفًا، ولم يكُ من المشركين".

"معاذ بن جبل"

وعنْ عاصم بن حميد عنْ معاذ بن جبل، قال: لما بعثه رسول الله- ﷺ- إلى اليمن، خرج معه يوصيه، ومعاذ بن جبل راكب، ورسولُ الله يمشي تحت راحلته، فلمّا فرغ قال: "يا معاذ، إنك عسى ألّا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلّك تمرّ بمسجدي هذا وقبري"، فبكى معاذ خشعًا لفراق رسول الله، ثمّ التفتَ بوجهه نحو المدينة، فقال: "إنّ أولى الناس بي المتقون، مَن كانوا وحيث كانوا".

ويقول أبو مسلم الخولاني: دخلتُ مسجد حمص، فإذا جماعة من الكهول يتوسّطهم شابّ برّاق الثنايا، صامت لا يتكلم، فإذا امْتَرَى القوم في شيء، (أي شكُّوا في أمر) تَوَجَّهوا إليه يسألونه، فقلت لجليس لي: من هذا ؟ قال: معاذ بن جبل، قال: فوقع في نفسي حُبُّه.

ولمّا أصيبَ أبو عبيدة بن الجراح والي الشام في طاعون عمواس، استخلف معاذَ بن جبل، فماتت زوجتاه، ثمّ ولداه.

***

روي أنّ معاذ بن جبل لمّا حضرته الوفاة قال: انظروا هل أصبحنا؟ فقيل: لم نصبِح، حتّى أتى في بعض ذلك، فقيل له: لقد أصبحنا، فقال: "أعوذ بالله من ليلةٍ صباحُها النار، ثمّ قال: اللّهم إنّي كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنّك تعلم أنّي لم أكنْ أحبّ الدنيا وطولَ البقاء فيها لكري الأنهار ولا

لغرس الأشجار، ولكنْ لطول ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر".

والهاجرة: نصف النهار، عند اشتداد الحر.

كري الأنهار: حفر حفرة جديدة.

حَلَق: جمع حلقة.

***

ثمّ مات- رضي الله عنه- في الأردن بنفْس الطاعون (طاعون عمواس).

***

[٢٤]

الصّحابي الجليلُ

"حذيفة بن اليمان"

- رضي الله عنه- وأرضاه

هو حذيفة بن اليَمان بن جابر العبسيِّ، وكنيته أبو عبد الله، صحابي جليل، مكّيّ الأصل، مدنيّ النشأة، حيث ولدَ أبوه في مكة، وعاش في المدينة المنورة، لكنّ أباه وهو الصحابي الجليل اليمان حسل أو حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة كان قد قتل رجلًا في مكّة وخاف من الثأر، فهرب إلى يثرب، وحالف بني عبد الأشهل، وسمّاه قومه اليمان؛ لحلفه اليمانية وهم الأنصار، ثمّ تزوّج امرأة منهم وهي الرّباب بنت كعب الأشهلية، التي أنجبتْ له حذيفة وإخوته.

***

عندما أعلنَ الرسول- ﷺ- دعوته للإسلام في مكة، جاءه اليمانُ مع بقيةٍ من أهل يثرب من الأوس والخزرج وبايعوه، ولم يكن حذيفة معهم، لكنّه أسلم قبلَ مشاهدة الرسول ﷺ، وعندما وصل رسولُ الله- ﷺ- سأله حذيفة هل هو يحسَب من المهاجرين أمْ من الأنصار؟ فقال له رسول الله: أنت يا حذيفة من المهاجرين والأنصار. وقيل إنّ النبي- ﷺ- خَيَّره بين الهجرة والنصرة، فاختار النّصرة.

***

"حذيفة بن اليمان"

حذيفة بن اليمان هو حافظ سرِّ رسول الله ﷺ؛ حيث أسرّ له- ﷺ- أسماءَ كافّة المنافقين المحيطين بهم، ولم يفشِ هذا السرَّ أبدًا؛ لذا خصَّه الرسول بتلك المنزلة.

فكان أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب عندما يريد أن يصلّي على أحد أموات المسلمين، يسألُ عن حذيفة، وهل هو مِن ضمن الحاضرين للصلاة؟ وذلك حرصًا منه على عدم الصّلاة على أحد المنافقين أسوةً برسول الله ﷺ، فإن كان حذيفة حاضرًا اطمأنّ وصلى على مَنْ مات.

كما سأل عمرُ بن الخطاب حذيفة رضي الله عنهما ذات مرة: أَفِي عُمَّالي منافق؟ قال: نعم، قال: مَنْ؟ قال: لا أخبرك. فحدث جدالٌ ذات يوم بين عمر وأحدِ العمّال، فطرده، وبمرور الوقت عرف أنّه كان هو المنافق.

❋❋❋

شارك حذيفة بكلّ المعارك والغزوات التي قادها النبي- ﷺ- عدا غزوة بدر؛ حيث كان قد سافرَ وأبوه خارج المدينة آنذاك، فوقعَا أسيريْن في يدِ كفار قريش، وعند استجوابهما، أعلموهما بأنهما في طريقهما إلى المدينة، ولا علاقة لهما بمحمّد وجماعته، وعاهدوهما بعدم مقاتلتهم، تركهما الكفار، فأسرعا إلى رسول الله ﷺ، وأخبراه بما حدثَ معهما، وأنّ الكفار يتأهّبون للغزو، فلم يسمح لهما رسول الله بالمشاركة في الغزوة وفاءً بعهدهما؛ لذا لم يشاركَا المسلمين تلك المعركة.

ويوم أحد رأى والده يُقتل خطأ بأيدٍ مسلمة، وقد رأى السيوف تنوشه، أي: تتناوله أو تصيبه، فصاح بضاربيه: (أبي، أبي، إنه أبي)، لكنّ أمرَ الله كان قد نفذ، وحين اكتشف المسلمون ما صنعوا، أصابَهم الحزن والوجوم، لكنه نظرَ إليهم بإشفاق، وقال: يغفر اللهُ لكم وهو أرحم الراحمين، ثمّ انطلق بسيفه يؤدّي واجبه في المعركة الدائرة، وهذا أكبرُ دليل على انتمائه، وولائه للإسلام. وبعد انتهاء المعركة، علم رسول الله -ﷺ- بما حدثَ فأمر له بالدّية عن والده حسيل بن جابر رضي الله عنه، لكن حذيفة تصدّق بها على المسلمين، فازدادَ حبّ وتقدير الرسول -ﷺ- له.

***

كان حذيفة- رضي الله عنه- يحترزُ لدينه، أي يصون نفسه من الفتن، ويحتاطُ لنفسه منها، ويسأل عن الشر؛ ليتّقيه.

فقد قال رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشّر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعدَ هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعدَ ذلك الشّر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَن، (الدخن: هو الدخان، والمقصود الفساد)، قلت: وما دَخَنُه؟! قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم، وتُنكر، قلت: فهلْ بعد ذلك الخير من شر، قال: نعم، دعاة على أبواب جهنّم، مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال:

هم مِن جلدتنا، ويتكلّمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعةَ المسلمين، وإمامَهم، قلت: فإن لم يكنْ لهم جماعة، ولا إمام؟ قال: فاعتزلْ تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ بأصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وقال- رضي الله عنه- أيضًا: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ..." إلى آخر الحديث.

***

ولّى الخليفة عمرُ بن الخطاب حذيفة واليًا على منطقة المدائن في العراق، فخرجَ إليهم على حماره، وبيدِه رغيف من الخبز كان يأكل فيه، وعندما وصلَ إليهم استغربوا من مظهره، وكاد يطيرُ صوابهم عندما علموا أنه الوالي- حذيفة بن اليمان- المنتظر؛ ففي بلاد فارس لم يعهدوا الولاة كذلك، وحينَ رآهم حذيفة يحدقون به، قال لهم: "إيّاكم ومواقفُ الفتن"، وعندما سألوه عن مقصده، قال لهم بأنْ يبتعدوا عن مدح الولاة والأمراء بما ليس فيهم، أو يكذبوا عليهم.

ولم يزلْ بالمدائن حتّى مات فيها، وذلك بعد مقتل عثمان، وبيعة علي بن أبي طالب بأربعين يوم، وذلك سنة ست وثلاثين للهجرة.

***

"حذيفة بن اليمان"

ويوم حضرَ حذيفة- رضي الله عنه- الموتُ جزع جزعًا شديدًا، وبكى بكاءً كثيرًا، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: "ما أبكي أسفًا على الدنيا، بل الموت أحبّ إليَّ، ولكنِّي لا أدري على ما أقدم؛ على رضى أم على سخط؟"

***

[٢٥]

الصّحابي الجليلُ
"أنس بن مالك"
- رضي الله عنه- وأرضاه

هو أنسُ بن مالك النجاري الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، ولد بالمدينة، وأسلمَ صغيرًا، وكنّاه النبي- ﷺ- بأبي حمزة.

يقول أنس رضي الله عنه: أخذتْ أمّي بيدي، وانطلقتْ بي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله، إنّه لم يبقَ رجل ولا امرأة من الأنصار إلّا وقد أتحفك بتحفةٍ (أي: هدية)، وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلّا ابني هذا، فخذْه، فليخدمك ما بدا لك. وكان ذلك في مقدم رسول الله- ﷺ- مهاجرا إلى المدينة.

وعندما أتتْ به أمّه إلى النبي ليخدمه، أخبرته أنّه كاتب، وهذه الميزة العظيمة لم تكن متوفّرة إلّا في النّفر القليل من أصحاب رسول الله؛ مما يدلّ على فطنةِ أنس وذكائه، خاصّة مع صغر سنّه؛ فلم يتجاوز العشرة أعوام من عمره آنذاك.

وأمّه هي الرميصاء، أم سليم بنت ملحان بن حرام الأنصارية الخزرجية رضي الله عنها، المؤمنة الدّاعية المبشَّرَة بالجنة، وكان من أوائل مَن وقف في

وجْه إسلامِها زوجُها مالك، أبو أنس، الذي غضبَ وثار عندما رجع من غيبتِه وعلمَ بإسلامها، وحاول إثناءها، فيئس، ثمّ وجدَها تلقّن رضيعها أنس بن مالك الشّهادتين، فنهاها قائلًا: لا تُفسدي عليّ ولدي. فلم تكفّ عن ذلك، فخرجَ من البيت غاضبًا، فلقيه عدوٌّ له، فقتله.

ثمّ تقدّم أبو طلحة الأنصاري للزواج منها، وكان لا يزال كافرًا، وعرض عليها مهرًا غاليًا، فردّته لأنّها لا تتزوّج مشركًا، وكانت تقول: أمَا تعلم يا أبا طلحة أنّ آلهتكم ينحتها آلُ فلان؟ وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت، وعندما عاود لخطبتها، قالت له: يا أبا طلحة، إنّ مثلك لا يُرَدّ، لكنك امرؤ كافر، وأنا امرأةٌ مسلمة، وقالت إنّ مهري الإسلام، فقَبل أبو طلحة، وانطلق يريدُ النبي - ﷺ - ليسلم، ويتشهد بين يديه ﷺ، فتزوّجت منه، وهكذا دخل الإسلام على يد زوجته، فكانت صاحبة أغلى مهر.

كان لأنس أخٌ من أمّه، يقال له "أبو عمير"، وقد كان النبي - ﷺ - يمازحه إذا ما زارهم، قائلًا: يا أبا عمير، ما فعل النُّغَيْر؟

والنّغير طائر جميل، كان يحبّه، ويلاعبه، ولمّا مات حزن عليه، وكان نبي الله يداعبه ويواسيه.

***

كان أنس شديدَ الإعجاب بشخصية الرسول ﷺ، فكان يقول: كان رسولُ الله من أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًّا قط (أي: صوفًا)، ولا حريرًا، ولا شيئًا كان ألين من كفِّ رسول الله، ولا شممت مسكًا قط، ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبي.

كان رسولُ الله أحسن الناس خُلقًا، وأرحبهم صدرًا، وأوفرهم حنانًا؛ فقد أرسله يومًا لحاجةٍ، فخرج، وقصد صبيانًا كانوا يلعبون في السوق ليلعب معهم، ولم يذهبْ إلى ما أمره- ﷺ- به، فلمّا صار إليهم، شعرَ بإنسانٍ يقف خلفه، ويأخذ بثوبه، فالتفت، فإذا رسول الله يتبسّم، ويقول: "يا أنيس، أذهَبْتَ إلى حيث أمرتُك؟"، فارتبك، وقال: نعم، إنّي ذاهب الآن، يا رسول الله.

يقول أنس: "والله لقدْ خدمته عشرَ سنين، فما قال لشيءٍ صنعته، لمَ صنعته؟ ولا لشيءٍ تركته، لمَ تركته؟".

وعنه رضي الله عنه، أنّ النبي - ﷺ- دخل على أم سليم، فأتته بتمرٍ وسمْن، فقال: أعيدوا تمركم في وعائكم، وسمنكم في سقائكم؛ فإنّي صائم. ثمّ قام في ناحية البيت، فصلّى بنا صلاة غير مكتوبة، فدعا لأمّ سليم، وأهل بيتها، فقالت: يا رسول الله، إنّ لي خويصة (أي: طلب خاصّ)، قال: وما هي؟ قالت: خادمك أنس (أي: تطلب منه أن يدعو لأنس)، فما ترك خيرَ آخرة

ولا دنيا إلّا دعا لي به، ثمّ قال: اللّهم ارزقه مالًا وولدًا، وبارك له فيه. قال أنس: فإنّي لمِن أكثرِ الأنصار مالًا، وحدّثتني أمينة ابنتي: أنه دفن من صُلبي إلى مقدم الحجّاج البصرة تسعةٌ وعشرون ومائة (أي: من أبنائه وأحفاده).

كما كان لأنس بستانٌ يحمل الفاكهة (أي: يثمر) مرّتين في السنة، وكان فيها ريحانٌ يجيء منه ريح المسك.

***

شهد أنس غزوةَ بدر مع رسول الله، وكان يخدمه، إذ كان عمره حينها اثني عشرَ عامًا.

كما شارك مع النبي في خيبر، والطائف، وحنين، وشهد فتح مكة، وصلح الحديبية، وعمرة القضاء، وحجة الوداع، وبيعة الشجرة.

وبعدَ وفاة النبي ﷺ، استُخْلِف أبو بكر الصديق على المسلمين، وشهدَ بداية عهده ردة العديد من القبائل على سلطة المسلمين، وعلى دين الإسلام، فكانت حروبُ الردة، شارك أنس في تلك الحروب، وكان أحدَ الرّماة المهرة، وكان ممّن شهد معركة اليمامة، وبعد استقرار الأمور أراد أبو بكر أن يبعثه إلى البحرين ليتولّى جباية أموال الزكاة، فاستشارَ عمر بن الخطاب، فقال له عمر: ابعثه؛ فإنّه لبيب كاتب.

وفي خلافةِ عمر بن الخطاب، شارك أنس في فتوح العراق وبلاد فارس،

وشهد معركة القادسية.

وأخيرًا سكنَ البصرة، وأقام فيها، وتفرّغ لرواية الحديث النبوي الشريف، والتفّ حوله طلّاب الحديث، وأخذوه عنه، حتّى أحصى علماءُ الحديث أكثر من مائتي راوٍ عنه.

قال أبو هريرة: ما رأيت أحدًا أشبه بصلاة رسول الله من ابن أم سليم.

وقال أنس بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسنَ الناس صلاة في الحضر والسفر.

وقال حفيده، ثمامة بن عبد الله: كان أنس يصلي حتّى تفطر قدماه دمًا؛ ممّا يطيل القيام.

وكان أنس يقول: ما من ليلةٍ إلّا وأنا أرى فيها حبيبي (يقصد: رسول الله- ﷺ-) ثمّ يبكي.

وكان مُجاب الدّعاء؛ فقد رُوي أنّه قيل له رضي الله عنه: عطشت أرضوك، فصلّى أنس، ودعا، فثارت سحابة، وغشيت أرضَه ومطرت، حتّى ملأت صهريجَه، وذلك في الصيف، فأرسل بعض أهله، فقال: انظر أين بلغت (أي: وصلت)؟ فإذا هي لم تعد (أي: لم تبرح، أو لم تتعدَّ) أرضه إلّا يسيرًا.

ولمّا نال أنسًا أذًى من جهة الحَجّاج، كتب إلى عبد الملك بن مروان يشكوه: إنّي خدمت رسول الله- ﷺ- تسع سنين، والله لو أنّ النصارى أدركوا رجلًا خدمَ نبيهم لأكرموه، فما كان من عبد الملك بن مروان إلّا أن كتبَ إلى الحَجّاج يعنّفه، ففزع الحَجّاج من ذلك، وصالح أنسًا رضي الله عنه.

***

أصيبَ أنس بن مالك في نهاية حياتِه بالبرص، وضعف جسده، وتوفي في البصرة أثناءَ خلافة الوليد بن عبد الملك، فكان آخرَ مَن توفي ممّن صلى القبلتين؛ حيث أنّه شهد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكان آخرَ مَن توفي مِن الصحابة؛ استجابةً لدعوة النبي- ﷺ- له بطولِ العمر.

***

[٢٦]

الصّحابي الجليلُ
"أبو هريرة"
- رضي الله عنه- وأرضاه

هو عبدُ الرحمن، ويُقال عبد الله بن صخر الدوسي، وكان اسمه في الجاهلية عبدَ شمس، أسلم عامَ خيبر على يد الطفيل بن عمرو الدوسي.

كانت كُنيته «أبو هُريرة»؛ فقد قيل أنّه وجد هِرَّة برية، فأخذها في كُمِّه، فكُنّي بذلك، وقيل إنّه كان يرعى غنمًا لأهله، فكانت له هريرة يلعب بها، فكنَّاه أهله بها، فغلبت كنيته اسمه.

لزمَ النبي- ﷺ- وواظبَ عليه رغبة في العلم، ليعوض ما فاتَه من الإسلام، راضيًا بشبع بطنه، وقد جاع واحتاج، ولزم المسجد مع أهل الصُّفَّة الفقراء، الذين لم يكنْ لهم مأوى ولا أهل، وأمضى أربع سنوات في معيّة النبي ﷺ، فكان يحضر ما لا يحضر سائرُ المهاجرين والأنصار؛ لاشتغال المهاجرين بالتجارة، والأنصار بحوائجهم.

تمكّن أبو هريرة في تلك الفترة من استيعاب قدرٍ كبير من أحاديث النبي وأفعاله، ساعدَه على ذلك قُدرته الكبيرة على الحفظ، والتي كانت إحدى

معجزات النبي ﷺ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ، قَالَ: ابْسُطْ رِدَاءَكَ، فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثمّ قَالَ: ضُمَّهُ، فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ.

وقد شهدَ له النبي- ﷺ- بحرصه على طلب العلم، فعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ.

وعنه- رضي الله عنه- قال: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ- ﷺ- أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ".

كما قال عن نفسه: نشأتُ يتيمًا، وهاجرت مسكينًا، وكنت أجيرًا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني، فزوّجنيها الله، فالحمدُ لله الذي جعل الدين قوامًا، وجعل أبا هريرة إمامًا.

***

كان أبو هريرة شديدَ الفقر، حيث كان يربط على بطنه حجرًا من شدّة الجوع. وفي أحد الأيام خرجَ وهو جائع، فمر به أبو بكر، فسأله أبو هريرة عنْ تفسير آيةٍ ما، ففسّرها له وانصرف، علمًا بأنّ أبا هريرة يعرف تفسيرَها،

إلّا أنه أرادَ منه أن يصطحبه لبيته ليطعمه، فمرّ عليه عمر بن الخطاب، وفعلَ معه كما فعل مع أبي بكر، إلّا أنّه ردّ عليه كما رد أبو بكر، وانصرف، فمرّ على رسول الله، فعلمَ ما يريد، وأخذه إلى بيته، فوجد لبنًا في قدح، فقال: مِن أين لكم هذا؟ قيل: أرسل به إليك.

فقال النبي: أبا هريرة، انطلقْ إلى أهل الصفة؛ فادعهم، فحزن أبو هريرة، وقال في نفسه: كنت أرجو أنْ أشرب من اللبن شربة أتقوَّى بها بقية يومي وليلتي، ثمّ قال في نفسه: لا بدّ من تنفيذ أمرِ الرسول، وذهب إلى المسجد، ونادى على أهل الصُّفَّة، فجاءوا، فقال في نفسه: إذا شرب كلّ هؤلاء ماذا يبقى لي في القدح؟ فأتوا معه إلى بيتِ النبي، فقال له النبي: أبا هرّ، خذْ فأعطهم، فقام أبو هريرة يدورُ عليهم بقدح اللبن يشرب الرجل منهم حتّى يروى ويشْبع، ثمّ يعطيه لِمَنْ بعده فيشرب حتّى يشبع، حتّى شرب آخرهم، ولم يبقَ في القدح إلّا شيء يسير، فرفعَ النبي رأسه وهو يبتسم وقال: أبا هرّ، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: بقيتُ أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، فقال الرسول: فاقعدْ فاشرب، قال أبو هريرة: فقعدتُ فشربت، فقال: اشربْ، فشربت، فمازال النبي يقول لي اشرب، فأشرب، حتّى قلت: والذي بعثك بالحقّ ما أجدُ له مساغًا، فقال النبي: ناولني القدح فأخذَ النبي القدحَ فشربَ من الفضلة.

***

"أبو هريرة"

وكان أبو هريرة- رضي الله عنه- يحبّ أهل بيت النبي- ﷺ- ويحثّ الناس على حبّهم؛ فعنه- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني" يعني الحسن والحسين.

***

عُرِفَ ببرِّه لأمّه، وهي الصّحابية ميمونة بنت صبيح رضي الله عنها.

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- (اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ). فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ- ﷺ-، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثمّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ

وَيُحَبِّبُهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا، (يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ) وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ).. فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلاَ يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.

***

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: خرجتُ يومًا من بيتي إلى المسجد، فوجدت نفرًا، فقالوا: ما أخرجك ؟ قلت: الجوع. فقالوا: ونحن والله ما أخرجنا إلّا الجوع. فقمنا، فدخلنا على رسول الله، فقال: ما جاء بكم هذه السّاعة؟ فأخبرناه، فدعا بطبقٍ فيه تمر، فأعطى كلّ رجلٍ منّا تمرتين.

فقال: كلوا هاتيْن التمرتين، واشربوا عليهما من الماء، فإنهما ستجزيانكم يومَكما من هذا. فأكلت تمرة، وخبّأت الأخرى، فقال: يا أبا هريرة، لِمَ رفعتها؟ قلت: لأمي. قال: كلْها، فسنُعطيك لها تمرتين.

***

كان لأبي هريرة خادمةٌ زنجية، ضايقته وزوجته بعملها، فرفع عليها السوطَ يومًا، وكاد يضربها، ثمّ أعتقها لوجه الله.

وعنْ عاصم بن كليب قال: حدثنا أبي أنّه سمع أبا هريرة كان يبتدئ حديثه بأنْ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: (مَن كذب علي متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النار).

"أبو هريرة"

كان أبو هريرة- رضي الله عنه- من عُبَّاد الصحابة، وكان مكثرًا للصلاة والصّيام وقراءة القرآن وذكر الله آناءَ الليل وأطراف النهار.

قال أبو عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليلَ أثلاثًا، يصلي هذا، ثمّ يوقظ هذا، ويصلي هذا، ثمّ يوقظ هذا.

قلت: يا أبا هريرة، كيف تصوم؟ قال: أصوم من أوّل الشهر ثلاثًا.

وعن عكرمة قال: كان أبو هريرة يسبّح كلّ يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يقول: أسبّح بقدر ديتي، أو أسبح بقدر ذنبي.

عنْ أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: أوصاني خليلي أبو القاسم- ﷺ- بثلاثٍ لا أدعهنّ حتّى أموت: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر».

كان أبو هريرة- رضي الله عنه- ممّن اعتزل الفتنة التي وقعت بين الصّحابة رضي الله عنهم، فلم يشهد معركة الجمل ولا صفين.

بعدَ وفاة النبي، شارك في عهدِ أبي بكر الصديق في حروب الردة، كما شاركَ في الفتح الإسلامي لفارس في عهد عمر بن الخطاب، واستعمله عمر واليًا على البحرين، ثمّ لزم المدينة المنورة يُعلّم الناس الحديث النبوي، ويُفتيهم في أمور دينهم، حتّى وفاته.

عاشَ أبو هريرة لا يبتغي من الدنيا سوى رضا الله وحبّ عباده من المسلمين حتّى حضرته الوفاة، فبكى شوقًا إلى لقاء ربه، ولمّا سئل: ما يُبكيك؟ قال: من قلّة الزاد وبُعْد المفازة، وقال: "اللّهم إنّي أحبّ لقاءك فأحبب لقائي".

ودفن- رضي الله عنه- بالبقيع.

***

[٢٧]

الصّحابي الجليلُ

"طلحة بن عبيد الله"

رضي الله عنه- وأرضاه

هو طلْحَة بن عُبَيْد الله التَّيمي القُرشي، كان من أكابر قريش. وهو أحدُ العشرة المبشّرين بالجنة، كما كان أحدَ الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وقد أسلمَ على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أحد الستة أصحاب الشّورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليتشاوروا فيما بينهم، ويختاروا الخليفة من بعده (وهُم مِن الذين مات رسول الله- ﷺ- وهو عنهم راضٍ).

***

هاجرَ إلى المدينة المنورة، وشارك في جميع الغزوات مع رسول الله- ﷺ- إلّا غزوة بدر، واختلفت الأقاويلُ في سبب ذلك، فقيل لأنّه كان في تجارةٍ بالشام، أمّا القول الأشهر فهو أنّ الرسول- ﷺ- أرسله مع سعيد بن زيد ليتحسّبَا خبر عِير قريش القافلة من الشام (أي يتجسّسوا على أخبار القافلة العائدة من الشام، فكانت نية النبي مهاجمة قوافلهم ليضعفهم)، فخرجا حتّى بلغا الحوراء، فلا يزالا مقيمين هناك حتّى مَرّت بهما العِير، ولكنْ بلغ النبي

الخبر قبل رجوع طلحة وسعيد إليه، فجهز جيشًا لملاقاة القافلة التي تمكّنت من الإفلات منه (لأنّ أبا سفيان علم بأمرهم فغيّر اتجاه القافلة، ونجا منهم)، بينما جهّز المشركون جيشًا، ولقوا النبي في بدر)، ثمّ عاد طلحة بن عُبيد الله، وسعيد بن زيد إلى المدينة المنورة ليُخبرا النبيّ عن خبر العير، ولم يَعْلَما بخروجه، فَقَدِمَا المدينة وكان يوم بدر، فخرجَا من المدينة، فلقيا النبي -ﷺ- مُنْصَرِفًا من بدر، فلم يشهدْ طلحة وسعيد غزوة بدر لذلك، فحزنَا لأنّهما كانا حريصيْن على المُشاركة في الغزوة مع رسول الله ﷺ، لكنه -ﷺ- ضربَ لهما بسهامهما وأجورهما في غزوة بدر، فكانا كَمَنْ شَهِدَها (أي أخذَا الأجر وكأنّهما حضرا الغزوة).

ثمّ شهد- رضي الله عنه- غزوة أحد مع النبي ﷺ، وكان فيمَن ثَبَتَ معه يومئذٍ وبايعه على الموت، ودافع عنه حتّى شُلَّت يده، فلما ولّى الناسُ كان مع النبي- ﷺ- اثنا عشر رجلًا، وكان منهم طلحة، فأردكهم مجموعةٌ من جيش قريش تريد قتل النبي، فقال ﷺ: مَنْ للقوم (أي: مَنْ يتطوع لقتالهم؟) قال طلحة: أنا، فرفض النبي أنْ يخرج لهم طلحة، وقال له: كما أنت، فقال رجل: أنا، قال: أنت، فقاتل حتّى قتل، ثمّ قال: مَنْ لهم؟ قال طلحة: أنا، قال: كما أنت، فقال، رجل من الأنصار: أنا، قال: أنت، فقاتل حتّى قتل، فلم يزل كذلك حتّى لم يَبْقَ مع النبي إلّا طلحة، فقال: مَنْ للقوم؟ قال طلحة:

أنا، يقول جابر بن عبد الله: فقاتل طلحة قتال الأحدَ عشر، حتّى قطعت أصابعه، فقال: حس، (وهو قول يُقال مِن الألم المفاجئ)، فقال رسولُ الله: لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناسُ ينظرون. ثمّ ردّ الله المشركين. وهذا يوضّح فضل البسملة عند الألم.

عنْ جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله: مَن سرَّهُ أن ينظرَ إلى شَهيدٍ يمشي على وَجهِ الأرضِ، فلينظُر إلى طَلحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ.

وقال- ﷺ- أيضًا: مَن سرّه أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض، وقد قضى نحبه؛ فلينظرْ إلى طلحة.

وعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ- ﷺ- دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، (وذلك لأنه- ﷺ- قد أصيب وشُجَّ رأسه، وجرح جبينه، ونزف الكثير من الدّماء الشريفة، وأشيع عنه أنه-ﷺ- قد مات، فكان يودّ الاستواء على الصخرة ليراه المشركون، ويعلموا أنّه مازال حيًّا؛ ممّا يقوّي شوكة جيش المسلمين، ويرهب العدو)، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ (أي كَمقْعَد، أو سُلَّم)، فَصَعِدَ النَّبِيُّ- ﷺ- عَلَيْهِ حتّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: أَوْجَبَ طَلْحَةُ.

(أي: وجَبَتْ له الجنَّة).

حيث برَك طَلْحَةُ على الأرض، وصعد عليه رسول الله- ﷺ- لِيَرى بعضَ ملامِح المعْركة، فجَعَلَ من نفْسِهِ مقعدًا للنبي عليه الصلاة والسلام .

كما قالتْ عائِشَةُ رضي الله عنها: كان أبو بكرٍ- رضي الله عنه- إذا ذُكِر يومُ أُحُدٍ، قال: ذلك كُلُّهُ يوم طلْحة.

وقد بَشَّره النبي بالشهادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله-ﷺ- كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله: اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إلّا نَبِيٌّ أَو صِدِّيقٌ أَو شَهِيدٌ.

كان- رضي الله عنه- كريمًا، جوادًا؛ فعن سلمة بن الأكوع، قال: ابتاع طلحة بئرًا بناحية الجبل، ونحرَ جزورًا (أي: ذبح بعيرًا)، فأطعم الناس، فقال رسولُ الله ﷺ: أنت طلحة الفياض.

كما سمَّاه رسولُ الله طلحة الخَيْرِ، وطلحة الجُود؛ لكثرة نفقته في سبيل الله.

وقد أتاه ذاتَ يوم مالٌ كثير، فباتَ ليلته يتململ، فقالت له زوجته: ما لك؟ قال: تفكّرت منذ الليلة، فقلت: ما ظنّ رجلٍ بربّه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عنْ بعض أخلّائك؟ فإذا أصبحت، فادع بجفانٍ وقصاعٍ (أي أوعية أو أوانٍ)، فقسّمه، فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفق...

فقد كانت أمّ كلثوم بنت الصديق، فلمّا أصبح دعا بجفانٍ، فقسَّمها بين المهاجرين والأنصار.

وعن حُسن ظنّه بالصحابة، سأله رجلٌ عن كثرة رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ، (أي: مشككًا في أبي هريرة- رضي الله عنه-)، فقال له: مَا أَشُكُّ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَمْ نَسْمَعْ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ، كُنَّا قَوْمًا لَنَا غَنَاءٌ وَبُيُوتَاتٌ، وَكُنَّا إِنَّمَا نَأْتِي رَسُولَ اللهِ طَرَفَيِ النَّهَارِ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ مِسْكِينًا لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا مَالَ، إِنَّمَا يَدُهُ مَعَ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ، يَأْكُلُ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ، فَوَاللَّهِ مَا نَشُكُّ أَنْ يَكُونَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، مَا لَمْ نَسْمَعْ.

وبعدَ مقتل عثمان بن عفان، خرج إلى البصرة مطالبًا بالقصاص من قتلة عثمان، فبعث عليّ بن أبي طالب إلى طلحة بن عبيد الله أنِ الْقِني (أي: ليقابله)، فأتاه طلحة، فقال: نشدتُك الله، هل سمعت رسولَ الله يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه؟ قال: نعم، قال: فلِمَ تقاتلني؟ قال: لم أذكر، (أي: نسيت)، قال: فانصرف طلحة (أي: تراجع عن موقفه).

قُتل طلحة بن عبيد الله يومَ موقعة الجمل، وذلك لمّا قرَّر الانسحاب من المعركة، بعدما أخبره عليّ بحديث رسول الله الذي كان قد نسيَه.

كما رُوِى أنّه لمّا قُتِل، ورآه علي بن أبي طالب مقتولًا، جعل يمسح التراب عنْ وجهه، ويقول: ليتني مِتُّ قبلَ هذا اليوم بعشرين سنة، وبكى هو وأصحابُه عليه، ورُوِي أنّ عليًّا قال: بَشِّروا قاتل طلحة بالنار.

***

[٢٨]

الصّحابي الجليلُ
"أبو ذرّ الغفاري"
- رضي الله عنه - وأرضاه

هو جندب بن جنادة الغفاري، نشأ في مضاربِ قبيلة غِفَار التي تقع بين مكة والمدينة، والتي كانت على طريق القوافل بين اليمن والشام، واشتهرت بالسّطو على القوافل، وكان أبو ذر كباقي أهل قريته، بل إنّه كان يبدي شجاعةً في هذا الأمر، لكنّه لم يسجدْ لصنم قط، وكان موحدًا، يؤمن بالإله الواحد، ويصلّي له قبل الإسلام، وحين بلغته الأخبار بأن هناك من يدعو للتّوحيد في مكة؛ سارع إلى الإسلام، فكان من السابقين الأوّلين.

***

وفي قصّة إسلامه، قيل أنه لمّا بلغه مبعث النبي ﷺ، قال لأخيه اركبْ إلى هذا الوادي فاعلمْ لي علمَ هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبرُ من السماء، واسمعْ من قوله ثمّ ائتني. فانطلق الأخ حتّى قدمه وسمعَ من قوله، ثمّ رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمرُ بمكارم الأخلاق، وكلامُه ما هو بالشّعر، فقال ما شفيتني ممّا أردت، فتزوّد (أي: أعدّ زادًا)، وحملَ شنّة له

(إناء من جلد) فيها ماء حتّى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي، ولا يعرفه، وكرهَ أن يسأل عنه حتّى أدركه بعضُ الليل، فاضطجع، فرآه علي بن أبي طالب، فعرفَ أنّه غريب، فلمّا رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبَه عن شيء حتّى أصبح (أي: استضافه علي ولم يسأله عن شيء)، ثمّ احتملَ قربته وزادَه إلى المسجد، وظلّ ذلك اليوم ولم يره النبي- ﷺ- حتّى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمرّ به علي، فقال أَمَا زال الرجلُ غريبًا؟ ثمّ استضافه، ولم يسألْ واحد منهما صاحبه عن شيء حتّى إذا كان اليوم الثالث، فعادَ علي على مثل ذلك، فأقام معه، ثمّ قال: ألا تحدّثني ما الذي أقدمك؟ قال إنْ أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدني، فعلت، ففعل، فأخبره، قال فإنّه حقّ وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحتَ فاتّبعني؛ فإني إنْ رأيت شيئًا أخاف عليك، قمتُ كأنّي أريق الماء (وقيل أربط حذائي، أي: يتصنّع انشغاله بشيء حتّى يتوقف أبو ذر عن تتبّعه؛ فلا يقع في أيدي المشركين)، فإنْ مضيت فاتبعني حتّى تدخل مدْخلي، ففعل، فانطلق يقْفُوه (أي: يتبعه) حتّى دخل على النبي- ﷺ- ودخلَ معه، فسمع مِن قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي ارجعْ إلى قومك فأخبرهم حتّى يأتيك أمري، فقال: والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها بينَ ظهرانيهم، فخرج حتّى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهدُ أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله، ثمّ قام القوم فضربوه حتّى أضجعوه (وقيل في روايته- رضي الله عنه- حتّى أموت، كادوا يقتلوه ضربًا)، وأتى

العباس فأكبّ عليه، قال: ويلكم، ألستم تعلمون أنّه من غفار، وأنّ طريق تجاركم إلى الشّأم (أي: الشام)، فأنقذه منهم، ثمّ عاد من الغدِ لمثلها (أي: فعل كما فعلَ بالأمس)، فضربوه وثاروا إليه، فأكبّ العباس عليه. ثمّ انطلق بعدها إلى قومه؛ امتثالاً لأمر النبي - ﷺ - لدعوتهم إلى الإسلام، وأقامَ فيهم يقيم معهم شعائرَ الإسلام، حتّى هاجر النبي إلى المدينة، فأسلموا جميعهم، وتبعتهم قبيلةُ أسلم، ثمّ وفدوا على النبي ﷺ، وفيهم أبو ذر الغفاري، فدعا لهما النبي، فقال: "غفار غفرَ الله لها، وأسْلِم سالمها الله".

وكان مقدمُ أبي ذر على النبي في المدينة المنورة بعد غزوتي بدر وأحد، وما أن هاجر حتّى لازم الرسول ﷺ، وشاركه غزواته.

ولمّا انطلقوا إلى قتال الروم في غزوة تبوك، تحسّس المسلمون المتخلفين عن الغزوة (حيث بدأ المنافقون في التراجع واحدًا تلو الآخر)، ويُعلمون النبيّ به، فيقولون: يا رسول الله، تخلّف فلان، فيقول: دَعُوه، إن يكن فيه خيرٌ فسيلحقكم، وإن يكنْ غير ذلك فقد أراحكم الله منه، حتّى قيل: يا رسول الله، تخلّف أبو ذر، وكان بعيرُه قد أبطأ به، فقرر أن يأخذ متاعه، فجعله على ظهره، وخرج يتبع الجيش، ونظرَ ناظر، فقال: إنّ هذا لرجل يمشي على الطريق، فقال النبي: كنْ أبا ذر، فلمّا تأمله القوم، قالوا: هو والله أبو ذر، فقال النبي ﷺ: رحمَ الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده.

***

كان- رضي الله عنه- رأسًا في الزهد، وحبّ الفقراء، والصدق، والعلم والعمل، قوَّالًا بالحقّ، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حِدَّةٍ فيه.

عن أبي ذرّ قال: قال لي رسول الله- ﷺ- ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراءُ من ذي لهجة أصدقَ ولا أوفى من أبي ذر، شبيه عيسى ابن مريم عليه السلام. (والْمُرَادُ: أَنَّهُ بَلَغَ فِي الصِّدْقِ ذروته).

***

روى- رضي الله عنه- عن النبي- ﷺ- الكثير من الأحاديث، كما روى عنه الكثير من الصحابة.

فعنْه رضي اللهُ عنه: "أَنَّ ناسًا من أَصْحابِ رسول الله- ﷺ- قالوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، ذَهَب أَهْلُ الدُّثور (أي: المال الكثير) بالأُجور، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُون بِفضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: أَوَلَيسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ لَكُمْ بكلِّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَة، وكُلِّ تَكْبيرَةٍ صَدَقَة، وكُلِّ تَحْميدَةٍ صَدَقَة، وَكُلِّ تَهْليلَةٍ صَدَقَة، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَة، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَة، وفي بُضْعِ أَحدِكُمْ صَدَقَة، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا في حَرَام، أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْر؟ فَكَذلِكَ إِذَا وَضَعَهَا في الْحَلَالِ كانَ لَهُ أَجْر.

***

"أبو ذرّ الغفاري"

بعد وفاة النبي، شاركَ أبو ذر في الفتح الإسلامي للشام، وشهد فتح بيت المقدسِ مع عمر بن الخطاب، وبعد الفتح أقام بالشام يُفتي الناس ويُعلّمهم أمورَ دينهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولكن في حِدّة تسببت في خلافِه مع الولاة وحَذَرِهم منه، فلم يستطعْ أن يتأقلم، واستأذن عثمان للخروج والإقامة في الربذة (منطقة تقع شرق المدينة)، فأذن له، فخرج إليها، وأقام وأهله بها.

توفّي أبو ذر الغفاري سنة ٣٢ هـ في الربذة، ولمّا حضرته الوفاة أوصى امرأته وغلامه، فقال: إذا متّ فاغْسلاني وكفّناني، وضعاني على الطريق، فأولُ ركبٍ يمرّون بكم فقولَا: هذا أبو ذر.

فلمّا مات، فَعَلَا به ذلك، فإذا ركْبٌ من أهل الكوفة فيهم عبد الله بن مسعود، فسأل: ما هذا؟ قيلَ جنازة أبي ذر، فبكى ابنُ مسعود، وتذكر قول النبي: يرحم اللهُ أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، فصلى عليه، ولَحَّدَه بنفسه.

***

[٢٩]

الصّحابي الجليلُ "الطُّفيل بن عمرو الدُّوسي" - رضي الله عنه- وأرضاه

هو صحابيّ جليل من قبيلة "دوْس"، كان سيدًا من سادات العرب في الجاهلية، حيث كان أديبًا شاعرًا مرهفَ الحس، رقيق المشاعر، وكان للشّعراء مكانتهم آنذاك لذيعِ صيتهم، وسماع كلمتهم.

كما كان- رضي الله عنه- من أصحاب المروءة؛ يطعم الجائع، ويؤمن الخائف، ويُجير المضطر.

وكان من السّابقين إلى الإسلام، وفي قصة إسلامه قيل أنه قدِمَ مكة ورسولُ الله- ﷺ- بها، فمشى إليه رجال قريش، وقد كان الطفيل رجلًا شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: إنّك قدمتَ بلادنا وهذا الرجلُ الذي بين أظهرنا فرَّق جماعتنا، وشتّت أمْرنا، وإنّما قوله كالسّحر يفرق بين المرء وأبيه، وبينَ الرجل وأخيه، أو زوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخلَ علينا، فلا تُكَلِّمَنَّهُ وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْه، فمازالوا به حتّى قرر ألّا يسمع منه (ﷺ) شيئًا، ولا يكلّمه، حتّى أنّه لمّا وصل المسجد حشَا أذنيه كُرْسُفًا (أي: قطنًا) خشية أن يبلغه شيء من قوله. فإذا برسول الله- ﷺ- قائمٌ يصلّي عند الكعبة،

فقام قريبا منه، فأبَى الله إلّا أن يُسمعَه بعض قوله، فسمعَ كلامًا حسنًا، فقال في نفسه: والله إنّي لرجل لبيب شاعر، ما يخفَى عليَّ الحَسَن من القبيح، فما يمنعني مِنْ أنْ أسمع من هذا الرّجل ما يقول؟ فإنْ كان الذي يأتي به حسنًا قبِلْتُ، وإن كان قبيحًا تركت.

فمكثَ حتّى انصرف رسول الله- ﷺ- إلى بيته، فتبعه حتّى إذا دخلَ بيته، دخلَ عليه، وقال له: إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوّفونني أمرَك حتّى سددتُ أذني بكرسف لئلّا أسمع قولك، ثمّ أبَى اللهُ إلّا أن يسمعنيه، فسمعتُ قولًا حسنًا، فاعرضْ عليَّ أمرك. فعرض رسولُ الله- ﷺ- عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن، فوجد أنه لم يسمعْ قولًا قطّ أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلم وشهدَ شهادة الحق، وقال: يا نبيّ الله، إني امرؤ مُطاع في قومي، وإني راجعٌ إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعل لي آيةً تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال ﷺ: اللّهم اجعل له آية.

فخرجَ إلى قومه، حتّى وصل ثنيّة (أي: ما انفرج بين الجبلين) تطلعه على الحاضر (أي: القبيلة النازلة على الماء)، فوجد نورًا بين عينيه مثل المصباح، فقال: اللّهم في غير وجهي، إنّي أخشى أن يظنوا أنّها مُثْلَةٌ (أي: مرض وعقوبة) وقعتْ في وجهي لفراق دينهم، فتحوّل النور، فوقع في رأسِ سوطه، فكان كالقنديل المعلّق، يضيء له في الليلة المظلمة، وكان هذا سببَ تسميته بذي

النور. فلمّا نزل أتاه أبوه، وكان شيخًا كبيرًا، فقال: إليك عنّي يا أبتِ؛ فلستُ منك، ولستَ مني، قال: لم يا بُني؟، قال: أسلمت، وتابعتُ دين محمد، قال: يا بني، فديني دينك، فقالَ: فاذهبْ يا أبتِ، فاغتسل وطهّر ثيابك، ثمّ تعالَ حتّى أعلّمك ما علمت، فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثمّ جاءه فعرضَ عليه الإسلام، فأسلم، ثمّ أتته صاحبته (زوجته) فقال لها: إليكِ عنّي فلستُ منك، ولستِ منّي، قالت: لِمَ، بأبي أنت وأمي؟، قال: فرق الإسلامُ بيني وبينك، أسلمتُ وتابعت دينَ محمد ﷺ، قالت: فديني دينك، قال: فاذهبي واغتسلي، فذهبت واغتسلت ثمّ جاءت، فعرض عليها الإسلام، فأسلمت، وصحّ إسلامها.

ثمّ دعا دوسًا إلى الإسلام، فلم يستجيبوا، فجاء رسول الله -ﷺ- وقال: يا نبيّ الله، إنّه قد غلبني على دوس الزنا والربا، فادع الله عليهم، فقال ﷺ: اللّهم اهْدِ دوسًا، ثمّ قال معلمًا إيّاه الرفقَ واللّين-: ارجعْ إلى قومك، فادْعُهم إلى الله، وارفُقْ بهم.

فرجعَ إليهم، ولم يزلْ بأرض دوس يدعوهم إلى الله، حتّى أتى رسول الله -ﷺ- بمَن أسلم معه من قومه، وكان -ﷺ- بخيبر، فنزلَ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، كان من بينهم أبو هريرة رضي الله عنه، فكانت كلّ أعمال أبي هريرة في ميزان حسنات الطّفيل رضي الله عنهما.

"الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي"

وبعدَ فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، بدأ النبي - ﷺ - ببعثِ رسله لهدم الأصنام وحرقها، وكان ممّن بعثه الطفيل - رضي الله عنه -، فقال: يا رسولَ الله، ابعثني إلى ذي الكَفَّين (وهو صنم عمرو بن حُمَمَة الدّوسي، الصنم الذي كان يعبده في الجاهلية) حتّى أحرقه؛ نصرةً لله ورسوله، فأرسله - ﷺ - إليه، فخرج حتّى قدم عليه، فجعل يوقدُ النار، وهو يقول :

يا ذا الكَفَّين، لستُ من عِبَادِك، ميلادنا أكبر من ميلادك،

إنّي حشوت النار في فؤادك .

فلمّا أحرقه، أسلمتْ باقي قبيلة دوس، وانحدرَ معه من قومه عددٌ كبير، فوافوا النبي - ﷺ - بالطائف.

وبعدَ وفاة النبي ﷺ، ارتدّ العرب، وكانت حروب الردة،

وقدْ بعثه أبو بكر الصديق إلى مسيلمة الكذاب، فخرج مع المسلمين ومعه ابنه - عمرو بن الطفيل -، وفي الطريق رأى رؤيا، فقال لأصحابه: إنّي رأيت رؤيا، عبروها (أي: فسّروها)، قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت رأسي حَلِق، وأنّه خرج من فمي طائر، وأنّ امرأة لقيتني، وأدخلتني في فرجها، وكان ابني يطلبني طلبًا حثيثًا، فحيل بيني وبينه.

قالوا: خيرًا، فقال: أمّا أنا والله فقد أَوَّلتها؛ أمّا حلق رأسي فقطعه، وأمّا الطائرُ فروحي، وأمّا المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي وأدفنُ

فيها، فقدْ رجوت أنْ أقتل شهيدًا، وأمّا طلب ابني إيّاي فلا أراه إلّا سيغدو في طلب الشهادة، ولا أراه يلحق بسفرنا هذا.

وبالفعل قتل- رضي الله عنه- شهيدًا يوم اليمامة، وجرح ابنه، ثمّ قُتِل شهيدًا باليرموك بعدَ ذلك، في زمن عمر بن الخطاب.

***

[٣٠]

الصّحابي الجليلُ

"المقداد بن عمرو"

- رضي الله عنه- وأرضاه

هو أحدُ السّابقين الأوّلين إلى الإسلام، وكان من أوائل من أظهر إسلامه بمكّة، فقد روى عبد الله بن مسعود أنّ أوّل مَن أظهر إسلامه سبعة: رسول الله وأبو بكر وعمار وأمّه سمية وصهيب وبلال والمقداد.

وقد أخذ نصيبَه من أذى قريش ونقمتها، وكان شجاعًا. عُرِفَ المقداد بن عمرو بالمقداد بن الأسود؛ حيث قيل أنه كان حليفًا لبني زهرة بن كلاب في مكّة، وأنّ الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب تبنّاه، فكان يُدعى المقداد بن الأسود نسبةً إلى أبيه بالتبنّي، حتّى نزلت الآية التي نسخت التّبني (أي: منعته): ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.. فدُعي باسمه المقداد بن عمرو.

***

"المقداد بن عمرو"

كان- رضي الله عنه- صحابيًّا بدريًّا، هاجر إلى الحبشة، ثمّ إلى المدينة المنوّرة، وشارك مع النبي في غزواته كلّها، كما شارك بعد وفاته- ﷺ- في فتوحات الشام ومصر.

شهدَ غزوة بدر مع النبي، وكان فارسًا على فرس له تدعى "سَبْحَة"، وكان أوّلَ مَن عدا به فرسُه في سبيل الله، كما كان من الرماة المهرة.

قال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

" ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد "

كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لقدْ شهدت من المقداد مشهدًا، لأنْ أكون صاحبَه أحبّ إليّ ممّا في الأرض جميعًا"؛ حيث أتى رسول اللَّه-ﷺ- لمّا سار إلى بدر الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار رسولُ اللَّه- ﷺ- الناس، فقال أبو بكر فأحسنَ (أي: أحسن قولًا ونصحًا)، وقال عمر فأحسن، ثمّ قام المقداد، فقال: يا رسولَ اللَّه، امضِ لما أُمرت به فنحنُ معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق نبيًّا لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد (اسم مكان) لجَالَدْنا معك من دونه حتّى تبلغه، فقال له رسولُ اللَّه- ﷺ- خيرًا، وسُرَّ لكلامه، ودعا له.

***

ولَّاه الرسول على إحدى الولايات يومًا، فلمّا رجع، سأله النبي: "كيف وجدت الإمارة؟" فأجاب في صدق عظيم: لقد جعلتني أنظرُ إلى نفسي كما لوْ كنت فوق الناس، وهُم جميعا دوني، والذي بعثك بالحقّ، لا آتمرنّ على اثنين بعد اليوم أبدًا.

***

عنِ المقداد بن عمرو، قال: قلتُ يا رسول الله، أرأيت رجلًا ضربني بالسيفَ فقطعَ يدي ثمّ لاذَ منّي بشجرة، ثمّ قال لا إله إلّا الله، أأقتله؟ قال: لا، فعدت مرّتين أو ثلاثًا، فقال: لا، إلّا أنْ تكون مثله قبل أن يقول ما قال، ويكون مثلك قبل أن تفعل ما فعلت.

عن المقداد، قال: قدمتُ المدينة أنا وصاحبان، فتعرّضنا للناس (أي: طلبوا من الناس أن يستضيفوهم فيأكلوا ويشربوا)، فلم يضفنا أحد (أي: لم يستضفهم أحد، وذلك لشدّة الفقر وقلة المورد آنذاك)، فأتينا إلى النبي، فذكرْنا له، فذهب بنا إلى منزله، وعنده أربعة أعنز، فقال: احلبهنّ يا مقداد وجزّئهن أربعة أجزاء، وأعطِ كلّ إنسان جزءًا، فكنت أفعل ذلك، فرفعت للنبيّ ذات ليلة (أي: تركت له نصيبه)، فاحتبس (أي: تأخر)، واضطجعت على فراشي، فقالت لي نفسي: إنّ النبي قد أتى أهلَ بيت من الأنصار، فلو قمتُ فشربت هذه الشربة، فلم تزلْ بي حتّى قمت فشربت جزءًا، فلما دخل في بطني وأمعائي، أخذني ما قدم وما حدث، فقلت يجيء الآن النبي جائعًا

ظمآنًا فلا يرى في القدح شيئًا، فسجّيت ثوبًا على وجهي (أي: غطيت وجهي)، وجاء النبي، فسلّم تسليمةً تُسمع اليقظان ولا توقظ النائم.

فكشفَ عنه فلم يرَ شيئًا، فرفع رأسَه إلى السماء، فقال: اللّهم اسقِ مَن سقاني، وأطعم مَن أطعمني، فاغتنمتُ دعوته (أي: أردت أن تصيبني دعوته وتكون من نصيبي)، وقمتُ فأخذت الشفرة، فدنوت إلى الأعنز، فجعلت أَجُسُّهُن أيّتهن أسمنُ لأذبحها، فوقعتْ يدي على ضرع إحداهن، فإذا هي حافل (أي: ممتلئة الضرع رغم أنّه حلبهنّ جميعًا منذ قليل)، ونظرت إلى الأخرى فإذا هي حافل، فنظرت فإذا هنّ كلّهن حفل، فحلبت في الإناء، فأتيتُه به، فقلت: اشرب، فقال: ما الخبرُ يا مقداد؟ فقلت: اشرب ثمّ الخبر، فقال: بعضُ سوآتك يا مقداد (أي: مقالبك، لأنّه كان- رضي الله عنه- يعرف عنه المزاح)، فشرب، ثمّ قال: اشرب، فقلت: اشرب يا نبي الله، فشرب حتّى تضلَّع (أي: شبع)، ثمّ أخذته، فشربته، ثمّ أخبرته الخبر، فقال النبي: هذه بركةٌ منزلة من السّماء، أفلا أخبرتني حتّى أسقي صاحبيك؟ فقلت: إذا شربت البركة أنا وأنت فلا أبالي من أخطأت.

❋❋❋

يقول صفوان بن عمرو، حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد يومًا، فمرّ به رجل، فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا

رسولَ الله، والله لوددنا أنّا رأينا ما رأيت، فاستمعت، فاستُغْضِبَ، فجعلت أعجب؛ ما قال إلّا خيرًا، ثمّ أقبلَ عليه، فقال: ما يحمل أحدكم على أن يتمنَّى محضرًا غيَّبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟

والله لقد حضرَ رسول الله أقوام كبَّهم اللهُ على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه، ولم يصدّقوه، أوَلا تحمدون الله، إذْ أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعرفون إلّا ربكم، مصدّقين بما جاء به نبيكم، وقد كفيتم البلاء بغيركم؟ والله لقدْ بعث النبيّ على أشدّ حال بعثَ عليه نبي في فترة وجاهلية، ما يرون دينًا أفضلَ من عبادة الأوثان، فجاء بفرقانٍ حتّى إن الرجل ليرى والده، أو ولده، أو أخاه كافرًا، وقد فتح اللهُ قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنه قد هلك من دخل النّار، فلا تقرّ عينه وهو يعلم أنّ حميمَه في النار، وأنّها للتي قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

والمقصود مِن هذا ألّا نتمنّى شيئًا ما كتبه اللهُ لنا، فلا نعلم إن وُجِدنا في الموقف، ماذا سيكون رد فعلنا؟

***

توفي المقداد- رضي الله عنه- على الأرجح سنة ٣٣ هـ بالجرف، فحُمل إلى المدينة، وصلّى عليه عثمان بن عفان، ودُفن في البقيع، وكان عمره عند وفاته ٧٠عامًا.

[٣١]

الصّحابي الجليلُ
"عبد الله بن عمرو بن حرام"
- رضي الله عنه- وأرضاه

صحابيّ جليل من الأنصار، من بني حرام بن كعب، من بني سلمة، من الخزرج، كان من أشراف وسادات قومه.

عندما كان الأنصارُ يبايعون رسول الله بيعة العقبة الثانية، كان عبد الله بن عمرو بن حرام، (أبو جابر بن عبد الله) أحدَ هؤلاء الأنصار، ولمّا اختار الرّسول منهم نقباء، كان عبد الله بن عمرو أحدَ هؤلاء النقباء، جعله النبي نقيبًا على قومه من بني سلمة.

ولمّا عاد إلى المدينة وضعَ نفسَه، وماله، وأهله في خدمة الإسلام، ثمّ شهد معّ النبيّ غزوة بدر، وقاتل فيها قتالَ الأبطال البواسل.

وفي غزوة أحد، تراءى له مصرعُه قبل أن يخرج المسلمون للغزو، وغمره إحساسٌ صادق بأنّه لن يعود، فكاد قلبه يطيرُ من الفرح لتعلقه بالشهادة في سبيل الله.

فدعا إليه ولدَه جابر بن عبد الله الصحابي الجليل، وقال له: (إني لا أراني إلّا مقتولًا في هذه الغزوة، بل لعلّي سأكون أوّل شهدائها من المسلمين، وإني والله، لا أدعُ أحدًا بعدي أحبّ إليّ منك بعدَ رسول الله، وإن عليّ دينًا، فاقضِ عنّي ديني، واستوص بإخوتك خيرًا).

دارتْ معركة رهيبة، أدرك المسلمون في بدايتها نصرًا سريعًا، كان يمكن أنْ يكون حاسمًا، لوْلا أنّ الرماة الذين أمرهم الرسول بالبقاء في مواقعهم، وعدم مغادرتها أبدًا قد أغراهم هذا النصرُ الخاطف على القرشيين، فتركوا مواقعهم فوق الجبل، وشُغِلُوا بجمع الغنائم. ولمّا رأى جيش الكفار ظَهْر المسلمين قد انكشف تمامًا، فاجأهم بهجومٍ خاطف من ورائهم، فتحوّل نصر المسلمين إلى هزيمة.

وفي هذا القتال المرير، قاتل عبد الله بن عمرو قتال مودّع شهيد، وبعد نهاية القتال، ذهب المسلمون ينظرون شهداءهم، فذهب جابر بن عبد الله يبحث عنْ أبيه حتّى ألفاه بين الشهداء، وقد مُثِّلَ به، كما مَثَّلَ المشركون بغيره من شهداء المسلمين.

عن ابن المنكدر قال: سمعتُ جابر بن عبد الله يقول: لمّا كان يوم أحد، جيء بأبي مسجّى (أي مُغطًّى)، وقد مُثِّلَ به، قال: فأردت أن أرفع الثوب، فنهاني قومي، ثمّ أردت أن أرفعَ الثوب، فنهاني قومي، فرفعه رسول الله -ﷺ- أو أمرَ به فرُفع، فسمع صوت باكية أو صائحة، فقال: من هذه؟ قالوا بنت عمرو أو أخت عمرو، فقال: ولِمَ تبكي؟ فمازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتّى رُفع.

وقيل أنه يحتمل أن تكون الملائكة ظلّلته لبشارته بفضل الله، ورضاه عنه، وما أعدّ له من الكرامة، فازدحموا عليه إكرامًا له، وفرحًا به، أو أظلوه من حرّ الشمس لئلّا يتغير ريحه أو جسمه.

وقفَ النبي الكريم- ﷺ- يشرف على دفن أصحابه الشهداء، الذين صَدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه، وبذلوا أرواحهم الغالية قربانًا متواضعًا لله ولرسوله.

عن جابر، أنّ رسول الله، لمّا خرج لدفن شهداء أحد، قال: "زَمِّلُوهم بجراحهم، فأنا شهيدٌ عليهم"

ولمّا جاء دور عبد الله بن حرام ليدفن، نادى رسول الله:

"ادفنوا عبد الله بن عمرو، وعمرو بن الجموح في قبرٍ واحد، فإنهما كانا في الدّنيا متحابيْن، متصافيَيْن".

فكُفّن هو وعمرو بن الجموح في كفن واحد.

ولقد أنبأ رسولُ الله عنه فيما بعدُ نبأً عظيما، يصوّر شغفه بالشهادة، فقد روى ابنه جابر أنّ النبي، قال له:" ألا أخبرك أنّ الله كلم أباك كفاحًا (أي: مواجهةً)، فقال :يا عبدي، سلني أُعْطِكَ، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانيًا، فقال :إنّه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب، فأبلغ مَن ورائي، فنزلت آية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

***

[٣٢]

الصّحابي الجليلُ

"البراء بن مالك"

- رضي الله عنه- وأرضاه

ينتمي البراءُ بن مالك بن النضر الأنصاري إلى قبيلة الخزرج، وهو أخو أنسٍ بن مالك- خادم النبي- ﷺ-،وأمّهما أمّ سليم بنت ملحان، رضي الله عنهم أجمعين.

صحبَ النبي ﷺ، وشهدَ معه المشاهدَ التي بعد بدر كلها، كما شهدَ بيعة الشجرة.

عُرف عن البَراء حُسن صوته، فكان يحْدو جمل النبي، يرجز لها في بعض أسفاره (أي: يحثُّها على السّرعة)، حتّى نهاه عن ذلك.

***

كان- رضي الله عنه- مُجابَ الدّعوة، فقد روى أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنّ رسول الله- ﷺ- قال: "كم من ضعيفٍ مُسْتضعفٍ، ذي طِمْرَيْن، لا يؤبَه له، لو أقسمَ على الله لأبرَّه، منهم البَرَاء بن مالك".

والطِّمْر: هو الثوبُ البالي، وذلك دليلٌ على الفقر.

وفي روايةٍ: "رُبَّ أشعثَ أغبر لا يؤبَه له لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراء بن مالك".

وبعدَ وفاة النبي- ﷺ- شاركَ البراء بن مالك في حروب الرّدة، وكان أحدَ مفاتيح نصرِ المسلمين يوم اليمامة، حين رأى تأزُّم المعركة بعد أنْ تحصّن مسيلمة الكذاب ومَن معه بالحائط (أي: الحديقة)، فأمرَ أصحابه أن يحملوه على ترْس، ويسْندونه على أسنة رماحهم، ويلقونه في الحديقة، فاقتحمَها، وشدّ على المدافعين عن الحديقة من المرتدين، ونزل عليهم نزولَ الصاعقة، ومازال يجالدهم أمامَ باب الحديقة، ويعمل في رقابِهم السّيف، حتّى تمكّن من فتح باب الحديقة، فدخلها المسلمون وانْتصروا في المعركة، وجُرح البراء يومئذٍ بضعة وثمانين جرحًا، أقام خالد بن الوليد عليه شهرًا؛ يداوي جراحه.. ثمّ شارك بعدئذٍ في فتوح العراق وفارس، وأظهرَ فيهم الكثيرَ من مواقف الشجاعة والإقدام، وقد خشي الخليفةُ عمر بن الخطاب على المسلمين الهلكة إنْ أمّروه عليهم، فكتب إلى أمراء الجيش: "لا تستعملوا البراء على جيش، فإنّه مهلكة من المهالك يُقَدَّمُ بهم".. (أي: لفرْطِ شجاعته، وعدم مهابته الموت، بل كان يسعى- رضي الله عنه- دائمًا للشّهادة في سبيل الله ورسوله ونصرة الإسلام والمسلمين).

طفقَ يخوض المعارك واحدةً تلو الأخرى شوقًا إلى تحقيق أمنيته الكبرى، وحنينًا إلى اللّحاق بالنبي الكريم- ﷺ- حتّى كان يوم فتح "تستر" مِن بلاد فارس، وقد تحصّن الفرس في إحدى القلاع، فحاصرهم المسلمون، ولمّا طالَ الحصار واشتدّ البلاء على الفرس، جعلوا يدلون من فوقِ أسوار

القلعة سلاسلَ مُحمّاة من حديد، علّقت بها كلاليب (أي: ما يشبه الخطاطيف، والمفرد كُلُّوب، أي: خُطَّاف) مِن فولاذ، (أشدَّ توهّجًا من الجمر)، تخترق أجساد المسلمين، فيرفعونهم إليهم، إمّا موتى، أو على مشارفِ الموت، فعلِق كُلُّوب منها بأخيه أنس بن مالك، فأسرع البراء، ووثبَ على جدار الحصْن، وأمسك بالسّلسلة التي تحمل أخاه، وجعل يحاول إخراجَ الكلوب من جسده، فأخذتْ يداه تحترقان، وتدخّنان فلم يأبه لهما، حتّى قطعَ الحبل ثمّ نظرَ إلى يديه، فإذا عظامُه تلوح، وقد ذهبَ ما عليها من اللّحم، وأنقذ أخاه من تلك الكلاليب.

وفي تلك المعركة، قتل البراء مائة مبارز، حتّى إذا كان آخر الزحف، أتى المسلمونَ للبراء، وقالوا له: أقسمْ على ربّك يا براء ليهزمنّهم لنا (أي: يقسمُ على الله لينصرهم في تلك المعركة الصّعبة، وذلك بعد أن أخذوا بأسباب البشَر، وقاتلوا، واستماتوا في القتال)، فقال: أقسمتُ عليك يا ربّ لمَا منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيك ﷺ.

فَبَرَّ الله بقسمِه، ومنح المسلمين أكتافهم، ونصرهم على الفرس، حتّى أدخلوهم الخنادق، واقتحموها عليهم، وهزموهم شرّ هزيمة، وقُتِلَ البراء شهيدًا فيها.

وقد دعا البراء يومئذٍ الله ليقبضَه خوفًا على نفسه من الفتنة، وخوفًا على المسلمين من أن يفتنوا به.

[٣٣]

الصّحابي الجليلُ

"أبو أيوب الأنصاري"

- رضي الله عنه- وأرضاه

هو خالد بن زيد بن كليب، صحابيّ أنصاري، نجاري (من بني نجار من الخزرج)، بدري (أي: حضر غزوة بدر)، شهد بيعة العقبة الثانية مع سبعينَ من الأنصار في مكّة، فكان ممّن بايع الرسول- ﷺ- على الدّفاع عنه دفاعَه عن أبنائه، والتضحية بكل غالٍ ونفيس من أجل نصرة الإسلام في مقابل الجنّة، وما كان منه ومنهم إلّا أن قبلوا، وقالوا: ربحَ البيع.

عندما وصل النبي- ﷺ- إلى المدينة المنورة مهاجرًا، أخذ الأنصارُ خِطام ناقته (وهو الحبلُ الذي يوضع حول عنق الدابة)؛ يرتجون منْه أن يقيم عندهم، وإنّه لشرفٌ عظيم لهم استضافته ﷺ، فكان- ﷺ- يعتذرُ في رقةٍ قائلًا عن ناقته: خَلُّوا سبيلها (أي: اتركوها) فإنّها مأمورة، فظلّتْ تسير حتّى بَرَكَت في موضع باب مسجده، حيث بيت أبي أيوب الأنصاري، فنزل النبيّ عنها، وحمل أبو أيوب رحله (أي: متاع النبي) وأدخله بيته.

نزلَ النبي أوّلًا في الطّابق الأسفل من دار أبي أيوب، وذلك تيسيرًا على أهل الدّار؛ حيث أنّ مريديه- ﷺ- كُثر، وهو يكره إزعاجهم، إلى أنْ كان

يومٌ أهرق (أي: انسكب) ماء في غرفة أبي أيوب في الطابق الأعلى، فخشي أبو أيوب وزوجُه أم أيوب أنْ يصيب الماء النبي، فتتبّعَا الماء بقطيفةٍ لهما كانا يستعينان بها على البرد، ويتّخذانها لحافًا، ثمّ نزل وقالَ للنبي: يا رسولَ الله، لا ينبغي أن نكونَ فوقك، فانتقل النبي إلى الأعلى؛ إشفاقًا عليهما.

كان أبو أيوب متعلّقًا بالنبي، مقتفيًا لأثره، فقد رُويَ أنّه أثناء إقامة النبي في داره، أنّه كان هو وامرأتُه- رضي الله عنهما- يلتمسان بركة النبي، فيأكلان مِن موضع يده ﷺ، حتّى كانت ليلة بعثا فيها بعشاء كان فيه بصلٌ أو ثوم، فردّه النبي دونَ أن يأكل منه، فجاءه أبو أيوب فزعًا، وسألَه عن سبب عدم اقترابه من الطعام، فقال النبي: إني وجدت فيه ريح هذه الشّجرة (يقصد الثّوم)، وأنا رجلٌ أناجي (أي: لا يليق به أن يناجي الله بهذه الرائحة)، فلمْ يقدّمَا له طعامًا كهذا بعد.

أمرَ النّبي ببناء مسجدِه، وحجرات له ولزوجاته، ثمّ انتقل إليها، بعد أن قضى في بيت أبي أيوب مدّةً قيل أنها بلغتْ سبعة أشهر.

حدَّث عبد الله بن عباس، فقال: خرجَ أبو بكر في الهاجرة، يعني نصف النّهار في شدّة الحر، فرآه عمر، فقال: يا أبا بكر، ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: ما أخرجني إلّا ما أجدُ من شدّة الجوع، فقال عمر: وأنا والله ما أخرجني غيرُ ذلك، فبينما هما كذلك إذْ خرج عليهما رسول الله ﷺ، فقال: ما أخرجكما

هذه السّاعة؟، قالا: والله ما أخرجنا إلّا ما نجدُه في بطوننا من شدّة الجوع، فقال ﷺ: وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيرُ ذلك، قومَا معي.

فانْطلقوا، فأتوا بابَ أبي أيوب الأنصاري، وكان أبو أيوب منذ تركه رسول الله- ﷺ- يدّخر له كلّ يوم طعامًا، فإذا لم يأت، أطعمه لأهله، فلمّا بلغوا الباب، خرجتْ إليهم أمّ أيوب، وقالت: مرحبًا بنبيّ الله ومَن معه، فقال رسولُ الله ﷺ: أين أبو أيوب؟

فسمعَ أبو أيوب صوتَ النبي، وكان يعملُ في نخلٍ قريب له، فأقبل يسرعُ وهو يقول: مرحبًا برسولِ الله وبمَن معه، ثمّ انطلق إلى نخيله، فقطع منه عذقًا فيه تمرٌ ورطب، ثمّ ذبح، وطهى، وقدّم الطعام إلى رسول الله ﷺ، فأخذ منه رسولُ الله قطعة من لحم، ووضعها في رغيف، وقال: يا أبا أيوب، بادرْ بهذه القطعة إلى فاطمة؛ فإنّها لم تصبْ مثل هذا منذ أيام، فلمّا أكلوا وشبعوا، قال النبي: خبزٌ ولحم وتمرٌ ورطب، ودمعت عيناه، ثمّ قال: والذي نفسي بيدِه، هذا هو النّعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، وبعد الطّعام، قال رسولُ الله- ﷺ- لأبي أيوب: ائتنا غدًا، وكان النبيّ لا يصنع له أحدٌ معروفًا إلّا أحبّ أن يجازيه، فلمّا كان الغد، ذهب أبو أيوب إلى النبي، فأهداه جارية صغيرة تخدمه، وقال له: استوص بها خيرًا، عادَ أبو أيوب إلى زوجتِه ومعه الجارية، وقال لزوجته: هذه هديةٌ من رسولِ الله لنا، ولقد أوْصانا بها خيرًا،

وأنْ نكرمها، فقالت أمّ أيوب: وكيف تصنعُ بها خيرًا لتنفّذ وصيةَ رسول الله؟ فقال: أفضلُ شيء أن نعتقها ابتغاء وجهِ الله، وقد كان.

***

آخى النبيّ بينه وبين الصّحابي الجليل مصعب بن عمير، وقد شهد أبوأيوب الأنْصاري المشاهدَ والغزواتِ كلّها مع رسول الله ﷺ.

وقد نزلتْ في أبي أيوب وزوجه آية: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، وذلك في حادثة الإفك، حيث روى "أفلح" مولى أبي أيوب، أنّ أمّ أيوب قالت لأبي أيوب: أمَا تسمع ما يقول الناسُ في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أفكنت يا أمّ أيوب فاعلة ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة واللهِ خيرٌ منك (أي: إن كنتِ أنتِ مكان عائشة ما ارتكبتِ ذلك الإثم، فإنّ عائشة أفضلُ منكِ، وأولى بها ألّا تفعل)، فنزلتْ فيهما الآية.

حفظ الصّحابة لأبي أيوب فضلَه في استضافة رسول الله ﷺ، فقدْ روى أنّ أبا أيوب قدمَ على عبد الله بن عباس البصرة، فأفرغ له بيته، وبالغَ في إكرامه، وقال: لأصنعنّ بك كما صنعت برسول الله.

بلّغ أبو أيوب عنْ رسول الله بعضَ الأحاديث، وقد شدَّ الرحال ذات يوم من المدينة إلى مصر؛ فقط ليسألَ عن حديثٍ لم يبقَ أحدٌ سمعه غيره ورجلٌ

في مصر يسمّى عقبة بن عامر؛ حتّى يتأكّد منه، وذلك لشدة أمانته وحرصه على دقّة التّبليغ، فَلَمَّا قَدِمَ مصر، أَتَى مَنْزِلَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ الأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ قَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُ عُقْبَةَ، فَابْعَثْ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى مَنْزِلِهِ، قَالَ: فَبَعَثَ مَعَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى مَنْزِلِ عُقْبَةَ، فَأُخْبِرَ عُقْبَةُ بِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُكَ فِي سِتْرِ الْمُؤْمِنِ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- يَقُولُ: "مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خُرْبَةٍ (أي: عيب)، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: صَدَقْتَ، ثمّ انْصَرَفَ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَرَكِبَهَا رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ.

***

بعدَ وفاة النبي ﷺ، داومَ أبو أيوب على الغزو، وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ولا أجدني إلّا خفيفًا أو ثقيلًا، (أي: أنه إمّا شابّ قوي، خفيف، قادرٌ على الحرب، وإمّا شيخٌ مُسِنّ، مريض، ضعيف، ثقيل، لا يقوى على الجهاد).

وقد قضى حياته- رضي الله عنه- غازيًا، ولم يتخلّف عن الجهاد بمَلْكِه أبدًا حتّى مات.

ففي عهدِ معاوية بن أبي سفيان، انخرطَ في جيش معاوية بقيادة ابنه يزيد لفتح بلاد الروم، وكان عمرُه في ذلك الوقت ثمانين عامًا، ولم يمنعه كبرُ سنّه من أَنْ يقاتل في سبيل الله، ولكنْ في الطريق مرض مرضًا أقعده عن مواصلةِ القتال، فكانت آخرُ وصاياه ليزيد بن معاوية أن يدعوه يقاتل معهم، وإذا ماتَ قبل الوصول إلى أرض المعركة، أنْ يحملوا جثمانه فوق فرسه، ويمضوا به داخلَ أرض العدو أبعدَ مسافة ممكنة، وأن يدفنوه هناك، فلفظ أنفاسَه الأخيرة بالفعل، وعملوا بوصيّته رضي الله عنه، وحفروا له قبرًا هناك، ودفنوه عند أسوار القسطنطينية.

***

[٣٤]

الصّحابي الجليلُ
"العباس بن عبد المطلب"
- رضي الله عنه- وأرضاه

هو العباسُ بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وكان يُكنّى بأبي الفضل، ولد في مكّة المكرمة قبلَ عام الفيل بثلاث سنين.

قِيلَ له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْتَ أَكْبَرُ، أَمْ رَسُول اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي وَأَنَا وُلِدْتُ قَبْلَهُ. وذلك لذكائه وحسن خلقه؛ فلم يُرِد أن يقول إنّه أكبرُ من رسول الله لأنّ لفظة أكبر تدلّ على المقام وليس فقط العمر.

***

أمّه نتيلة بنتُ جناب بن كليب، وهي أولُ مَن كسا الكعبة الحرير والديباج، وذلك لأنّ العباس ضاعَ وهو صغير، فنذرتْ إنْ وجدته أن تكسو البيت، وبالفعل وجدته، وفعلت.

***

هو ثاني مَن أسلم مِن أعمام رسول الله العَشَرة؛ إذ لم يسلم منهم سواه وحمزة رضي الله عنهما.

شهدَ مع رسولِ الله بيعةَ العقبة الثانية، فعندما قدم مكّة في موسم الحج وفدُ الأنصار، ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان؛ ليبايعوا الله ورسوله، وليتفقوا مع رسول الله على الهجرة إلى المدينة على وعد بنصرته ودعمه، لم يحضر العقدَ أيّ من صحابةِ رسول الله، إلّا العباس الذي كان لم يسلمْ بعد، وذلك لثقةِ الرّسول به، ولمكانته في قلبه، وكذا ليشدّد به العقد، فيؤيّده ويقوّيه.

لم يعلنِ العباس إسلامَه إلّا عامَ الفتح، ممّا جعل بعض المؤرخين يعدّونه ممّن تأخّر إسلامهم، بيدَ أنّه قيل أنه كان من المسلمين الأوائل، ولكن كتمَ إسلامَه.

قال أبو رافع: "كنتُ غلامًا للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلمَ العباس وأسلمتْ أمّ الفضل، وَأَسْلَمْتُ، وكان العباس يهاب قومَه، ويكره خلافهم، وكان يكتمُ إسلامه"

وحسبَ هذه الرواية فهو- رضي الله عنه- كان مسلماً قبل غزوة بدر، وكان سببُ بقائه في مكة بعد هجرة الرسول وصحبه خُطَّةً اتّفق عليها مع رسول الله؛ فكان يكتب أخبارَ قريش لرسول الله سرًّا، وكانت قريش تشكُّ في نواياه، لكنّها لم تجد دليلًا يُدينه، كما أنّ مسلمي قريش كانوا يتقوون ويحتمون به.

خرجَ إلى غزوة بدر معَ المشركين، مكْرَهًا ومرغمًا، وأسرَ فيمَن أسِر يومئذ، وكان قد شُدَّ وثاقه، فسهرَ النبي- ﷺ- تلك الليلة، ولم ينَمْ.

فقالَ له بعضُ أصحابه: ما يسهرُك يا نبيّ الله؟ قال ﷺ: "أسهرُ لأنين العباس"، قام رجلٌ من القوم، فأرخى وثاقه، فقال له رسول الله ﷺ: "ما لي لا أسمع أنينَ العباس؟"، فقال الرجل: أنا أرخيتُ من وثاقه، فقال ﷺ: "فافعلْ ذلك، بالأسرى كلهم".

***

كان طويلًا، جميلًا، أبيض البشرة، شديدَ الذكاء، ذا علم كبير، ورأي سديد، وكان جوادًا، كريمًا، وَصولًا للرحم، قال المصطفى- ﷺ- عنه: "هذا العباسُ بن عبد المطلب، أجودُ قريش كفًّا، وأوصلها"، وقال: "هذا بقيّة آبائي".

حيث أنّه عمّ رسول الله الوحيد الذي ظلّ حيًّا بعد وفاته ﷺ.

***

روى العباسُ بن عبد المطلب عن النبي أحاديث كثيرة، وكان له منزلةٌ كبيرة عند رسول الله، وصحابته، فكانوا يعترفون للعباس بفضله، ويشاورونه ويأخذون رأيه.

كان العباس إذا مرّ بعمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان، وهما راكبان نزلَا حتّى يجاوزاه إجلالًا له.

قال له عُمر ذاتَ مرة في حديث طويل: "فوالله لإسلامك يومَ أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلّا أنّي قد عرفت أنّ إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم".. يقصد أنّ إسلام العباس أحبّ إليه من إسلام والده.

وقالت عائشة رضي الله عنها: "ما رأيت رسولَ الله يُجِلُّ أحدًا ما يجلّ العباس، أو يكرم العباس".

طلب من رسول الله- ﷺ- أن يأذن له بالذهاب إلى مكة حتّى يهاجر إليه، فيكون من المهاجرين، فقال له ﷺ: "اقعد يا عم؛ فإنّك خاتم المهاجرين، كما أنّي خاتم النبيّين".

***

أنعم اللهُ على العباس بصوت جهْوري، وفي غزوة حنين، كان الكفار قد سبقوا المسلمينَ إلى الوديان، وتملَّكوا من زمام الأمور، ثمّ انقضُّوا عليهم على حين غفلة، فهُرع المسلمون بعيدًا، ورأى الرسول- ﷺ- ما أحدثه الهجومُ المفاجئ، ولم يكنْ حوله وقتئذ إلّا أبو بكر، وعمر، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وولده الفضل بن العباس، وقلّة من الصحابة.

فأمر الرسولُ العباس بأن يصرخَ في الناس ليجمعهم، فصرخ بصوته الجَهوري: (يا معشر الأنصار، يا أصحاب البيعة)، فأجابوه: (لبيك، لبيك)

وانقلبوا عائدين كالإعصار صوبَ العباس، ودارت المعركة من جديد، وكان النصرُ للمسلمين.

***

بعد وفاة رسول الله...

في عام الرّمادة، حين أصاب العباد قحط، خرج أمير المؤمنين عمر والمسلمونَ معه إلى الفضاء الرّحب؛ يصلون صلاة الاستسقاء، ويتضرّعون إلى الله أن يرسل إليهم الغيثَ والمطر، وقف عمر وقد أمسك يمينَ العباس بيمينه، ورفعها صوبَ السماء، وقال: (اللّهم إنّا كنّا نستسقي بنبيّك وهو بيننا، اللّهم وإنّا اليوم نستسقي بعمِّ نبيك، فاسقنا).

ولم يغادر المسلمون مكانهم حتّى جاءهم الغيث، وهطل المطر، وأقبل الأصحابُ على العباس يعانقونه و يقبّلونه، ويقولون: (هنيئًا لك... ساقي الحرمين)؛ لأنّه- رضي الله عنه- كانت له عمارةُ البيت الحرام والسّقاية في الجاهلية، وها هو ذا كان سببًا في سقايتهم في المدينة، كما كان في مكة.

***

توفي- رضي الله عنه- في خلافة عثمان بن عفان، الذي صلى عليه في المدينة المنورة سنة ٣٢ هـ، وكان عمره ٨٨ عامًا، ودفن- رضي الله عنه- في البقيع.

[٣٥]

الصّحابي الجليلُ

"عِمران بن حصين"

– رضي الله عنه– وأرضاه

هو عِمران بن حصين بن عبيد بن خلف، من قبيلة خزاعة، وكنيته أبو نجيد، وكان– رضي الله عنه– من ساداتِ قومه.

جاء إسلامُه متأخّرًا، فقد أسلمَ في السنة السابعة للهجرة مع أبي هريرة رضي الله عنهما.

ترجع قصّة إسلامِه إلى عام خيبر حيث جاءته مجموعةٌ من قريش يشكون له سبّ وذمّ الرسول لآلهتهم، فجمعَهم وذهبوا للوقوف على سبب ذلك، إلّا أنّ رسول الله جابههم بأنْ سأل عِمران عن عددِ آلهته التي يعبدها، أجابه عِمران بأنّها سبعة في الأرض وواحدٌ في السماء.

سأله رسول الله عن أيّ منها يدعو عندما يُصيبه الضّر؟ فأجابه أنّه يدعو إله السّماء، فقال رسولُ الله كيف له أنْ يشرك مع الله آلهة الأرض وهو الوحيد المُستجيب؟ سكتَ عِمران، فطلب منه الرسولُ أن يسلم، فأسلم، وما سرعة استجابته للدّعوة إلّا لصلاح فطرته وذكائه ونقاءِ سريرته– رضي الله عنه–،

وعندئذٍ طلبَ منه رسول الله- ﷺ- أنْ يقول: (اللّهم أستهديكَ لأرْشَدَ أمري وزِدْني علمًا ينفعني)، فقالها، وداوم على هذا الدعاء.

ومنذُ وضع يمينه بيمين رسول الله- ﷺ- مبايعًا، أقسم على نفسِه ألّا يستخدمها إلّا في كلّ عملٍ طيّب وكريم.

***

شهد بعضَ الغزوات مع الرسول- ﷺ-، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وكان صاحبَ راية خزاعة يوم فتح مكة، وروى عن رسول الله بعضَ الأحاديث التي اجتمع عليها الشيخان.

***

كان- رضي الله عنه- صورةً من صور الصدق والزهد والورع، والتفاني في حبّ الله وطاعته، ومع ذلك فهو لا يفتأ يبكي.. ويبكي، ويقول:

"يا ليتني كنت رمادًا تذروه الرياح".

سأل أصحابُ الرسول يومًا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، ما لنا إذا كنّا عندك رقّت قلوبنا وزهدنا دنيانا، وكأنّنا نرى الآخرة رأيَ العين، حتّى إذا خرجنا من عندك ولقينا أهلنا وأولادنا ودنيانا أنكرنا أنفسنا؟ (أي: تلهيهم الدنيا عن العبادة والذكر). أجابهم ﷺ: "والذي نفسي بيده، لو تدومون على حالكم عندي لصافحتكم الملائكة عيانًا، ولكن ساعة وساعة".

سمع عِمران بن حصين هذا الحديث، فاشتعلت أشواقه، وآلى على نفسه ألّا يقعدَ دون تلك الغاية الجليلة ولو كلفته حياته، فلم تكن حياته ساعة وساعة؛ بل جعلها كلّها ساعة واحدة موصولةَ النجوى والتبتل لله ربّ العالمين.

***

ولمّا وقعت الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية، كان ممّن اعتزلها، ولم يقاتل في صفّ أيٍّ منهما. لم يقف- رضي الله عنه- موقف المحايد فحسب، بل راحَ يرفع صوته بين الناس داعيًا إياهم أن يكفّوا عن الاشتراك في تلك الحرب، حاضنًا قضية السلام خير محتضن، وراح يقول للناس:

(لأنْ أرعى أعنزًا حضنيات (الحاضن التي تقوم على تربية الصغار) في رأس جبل حتّى يدركني الموت أحبّ إليّ من أن أرمي في أحد الفريقين بسهمٍ أخطأ أم أصاب).

كما كان يوصي مَن يلقاه من المسلمين بذلك، فعن أبي قتادة:

قال لي عِمران بن حصين: "الزمْ مسجدك، فإن دُخِلَ عليك فالزم بيتك، فإن دَخَل عليك بيتك مَن يريد نفسك ومالك فقاتله".

وكان هذا أعظمَ دور في درء الفتنة ووأدها.

***

وفي خلافة أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" أرسله إلى البصرة ليفقّه أهلها، ويعلّمهم أمور دينهم، فتولى قضاءَ البصرة لفترة من الزمن، وسكن فيها، وأقبلَ عليه أهلها مذْ عرفوه يتبركون به ويستضيئون بتقواه، حتّى أنهم قالوا فيه:

"ما قَدِمَ البصرة من أصحاب رسول الله- ﷺ- أحدٌ يَفْضُل عِمران بن حصين".

***

قضى- رضي الله عنه- على رجلٍ بقضية، فقال: والله قضيت علي بجَوْر (أي: حكمت عليَّ بظلم)، وما ألوتُ.

قال: وكيف؟

قال: شُهِدَ علي بزور.

قال: فهو في مالي، ووالله لا أجلس مجلسي هذا أبدًا.

ودفع عِمران بن حصين من ماله الخاصّ ما يعوِّض الرجل.

***

قال ابن سيرين: سُقِيَ بطنُ عِمران بن حصين ثلاثين سنة (أي: أصابه مرض الاستسقاء، وهو تجمّع سائل كالماء في البطن)، كلّ ذلك يعرض عليه الكي، فيأبى، حتّى كان قبلَ موته بسنتين فاكتوى.

***

حقّق إيمان "عِمران بن حصين" وصبرُه على الشدائد أعظمَ نجاح حين أصابه ذلك المرض الموجع، إضافةً إلى البواسير والتي كانت تعالَج بالكي، لكنّه ما ضَجر منه أبدًا، بل كان مثابرًا عاكفًا على عبادته، قائمًا وقاعدًا وراقدًا، حتّى إذا هوّن عليه إخوانه أمرَ عِلّته بكلمات مشجعة، ابتسم لهم وقال: "إنّ أحبّ الأشياء إلى نفسي أحبُّها إلى الله".

***

عن مطرّف بن عبد الله بن الشّخير: قلت لعمران: ما يمنعني من عيادتك إلّا ما أرى من حالك (يقصد: مشفقًا عليه من مرضه)، قال: فلا تفعل، فإنّ أحبّه إليَّ أحبه إلى الله.

وعنه أيضًا، قال لي عِمران في مرضه: إنّه قد كان يُسلَّم علي (يقصد: سلام الملائكة) فإنْ عشتُ فاكتمْ علي (أي: لا تحدّث به أحدًا حتّى أموت؛ حتّى لا يكون سبيلًا للفتنة).

كما رُوي عن مطرّف- أيضًا- أنّه قال: قال لي عِمران بن حصين: "إنّ الذي كان انقطع عنّي قد رجع (يعني: عادت الملائكة تسلم عليه مجدّدًا).

فقدْ كانت الملائكة تسلِّم عليه- رضي الله عنه- تحيةً له وتشجيعًا على صبره واحتماله، حتّى ما عاد يحتمل، فاضطرّ واكتوى لأجل الاستشفاء، فتركت الملائكةُ السلام عليه، ولمّا ترك الاكتواء، عادت الملائكة تسلِّم عليه، وظلت كذلك حتّى وفاته بعدَ ذلك بفترةٍ وجيزةٍ، بالبصرة عام ٥٢ للهجرة.

[٣٦]

الصّحابي الجليلُ

"عَمرو بن الجموح"

- رضي الله عنه - وأرضاه

هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حَرَام بن كَعْب، أحد زعماء المدينة، وسيدٌ من ساداتِ بني سلمة، وشريف من أشرافهم، وواحدٌ من أجوادها.

كان صهرًا لعبد الله بن عمرو بن حرام، إذ كان زوجًا لأخته هند بنت عمرو، كما كان آخرَ الأنصار إسلامًا.

سبقه ابنُه معاذ بن عمرو بن الجموح للإسلام، فكان أحدَ السبعين في بيعة العقبة الثانية، وكان له الفضل في إسلام أبيه.

فقدْ كان من عادة الأشراف أن يتّخذوا في بيوتهم أصنامًا رمزية غير تلك الأصنام الكبيرة المنصوبة في المحافل، والتي تؤمّها جموع الناس. وكان لعمرو بن الجموح صنمٌ أقامه في داره، وسمّاه "منافا"، اتّفق معاذ بن عمرو بن الجموح مع صديقه معاذ بن جبل على أنْ يجعلا مِن صنم أبيه سخرية وأضحوكة؛ فربّما تكون سببا في رجوعه إلى رشده، وهدايته إلى الإسلام. فكانا يحملانه ليلًا ويطرحانه في حفرةٍ يلقي فيها الناس فَضَلاتهم، فيصبح

عمرو بن الجموح ولا يجدُه في مكانه، فيبحث عنه حتّى يجده طريحَ تلك الحفرة، فيثور ويقول: (ويلكم! مَن عدا على آلهتنا هذه الليلة؟).. ثمّ يقوم بغسلِه وتطهيره وتطييبه، فإذا جاءَ الليل صنع الصديقان بالصّنم مثلما صنعَا من قبْل، حتّى سئمَ عمرو بن الجموح، فجاء بسيفه ووضعه في عنق "مناف"، وقال له: (إنْ كان فيك خير، فدافعْ عن نفسك).. ولمّا أصبح، لم يجدْه مكانه، بل وجدَه بالحفرة نفسها، ولم يكن وحيدًا هذه المرة، بل كان مشدودًا موثوقًا مع كلب ميتٍ في حبلٍ واحد. وبينما هو في غضبه وأسفه وثورتِه، اقترب منه بعضُ أشراف المدينة الذين سبقوا إلى الإسلام، وراحوا وهُم يشيرون إلى الصّنم مخاطبين عقله، محدِّثينه عن الإله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء، وعن الصّادق الأمين المبعوث رحمةً للعالمين، وعن دين الحق المبين. وفي لحظاتٍ ذهب عمرو بن الجموح فطهّر ثوبَه وبدنه، وتطيّب وتأنّق، وذهب ليبايع خاتمَ الأنبياء والمرسلين، ويأخذ مكانه بين جموع المؤمنين.

***

كان ابنُ الجموح- رضي الله عنه- مفطورًا على الجود والعطاء، وزاده الإسلامُ سخاءً في خدمة الدين ونصرة الحق.

حتّى جاء يوم، سأل النبي- ﷺ- جماعةً من بني سلمة- قبيلة عمرو- فقال:

"مَن سيِّدكم يا بني سلمة؟"

قالوا: الجدّ بن قيس، على بخل فيه.

فقال ﷺ: "وأيُّ داء أدْوَى من البخل! بل سيّدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح".

وكانت هذه الشهادةُ تكريمًا له- رضي الله عنه- وأرضاه.

***

كان في ساقه عرجٌ شديدٌ ممّا يجعله غيرَ قادر على الاشتراك في قتال، وله أربعةُ أولاد مسلمون، كلّهم كالأسود جسارةً وإقدامًا، كانوا يخرجون مع الرسول- ﷺ- في الغزو.

حاول ابن الجموح الخروجَ في غزوة بدر، فتوسّل أبناؤه للرسول الكريم كي يقنعَه بعدم الخروج، وبالفعل أخبره النبي بأنّه معفيّ من الجهاد لعجزه المتمثّل في عَرَجه، وعلى الرّغم من إلحاحه ورجائه، إلّا أنّ النبي أصرَّ على بقائه بالمدينة.

حتّى كان يوم أحد، فأرادَ الخروج للغزو مع النبي فمنعه بنوه ثانيةً، إلّا أنه أبى إلّا أن يشهدَ المعركة مع أبنائه الأربعة، فقال للنبي: "أرأيت إن قتلتُ اليوم، أطأ بعرجتي هذه الجنة؟"

قال: "نعم".

قال: "فوالذي بعثَك بالحقّ لأطأنّ بها الجنة اليومَ إن شاء الله".

ثمّ قاتل باستبسالٍ مُتناهٍ حتّى قتل، وكان الشهيد الأعرج.

فعن أبي قتادة الذي حضر ذلك المشهد، قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت حتّى أقتلَ في سبيل الله، تراني أمشي برجلي هذه في الجنة؟ قال: نعم، وكانت عرجاء، فقتل يومَ أحد هو وابنُ أخيه، فمرّ النبي به، فقال: "فإنّي أراك تمشي برجلك هذه صحيحةً في الجنة".

وقدْ دُفن هو وصديقه عبد الله بن عمرو بن حرام (الذي نال الشهادة في نفس الغزوة) في قبرٍ واحد، بأمرٍ من النبي، حيث قال حين كان ينظِّم أَمر دفن القتلى: "انظروا إلى عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانَا مُتحابّين متصافييْن في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد".

وبعدَ سنواتٍ طوال، أصاب سيلٌ موضعَ قبرهما فخرّبَه، فحُفر لهما ليُغيّروا مكانهما وينقلوا رفاتهما، فوجدوا جثثيْهما لم تتغيّرَا، كأنّما ماتا بالأمس، وكان أحدُهما قد جرح أثناء المعركة، فدُفن ويده على موضع جرحه، فأمِيطَت يدُه عن جرحه (أي: أزيلَت)، فسالَ الدم، ثمّ أعيدت، فرجعت كما كانت.

❊❊❊

[٣٧]

الصّحابي الجليلُ
"عبد الله ذي البجادين"
– رضي الله عنه– وأرضاه

هو عبدُ العُزَّى بن عبد نَهْم بن مُزَيْنَة، كان يتيماً في حِجْر عمه، الذي كفله منذُ وفاة والده وهو لا يزالُ في سنّ صغيرة، وكان محسنًا له.

كان عمّه بالغَ الثّراء، عظيمَ الجاه، وبفضله عاشَ عبد الله في رغد ورفاهية لا يحظى بهما أقرانُه، فكان لا يلبسُ إلّا أفخر الثياب، ولا يركب إلّا أسرع الدواب.

عندما بلغ السّادسةَ عشرة من عمره، وكان ذلك قد تزامنَ مع هجرة المسلمين من مكّة إلى المدينة، كانوا يمرّون على بلدته، وشاء القدر أن يلتقي بهم عبدُ العزى المزني، ويعرضون عليه الإسلام، فيرِقُّ قلبه ويدخل في زمرة المسلمين الموحدين لِتَوِّه بدون تردد؛ لفطرته السليمة وسريرته النقية.

بدأ يتعلّم القرآن من الصّحابة الذين يمرّون ببلدته، فكان يتبعهم ليستمع منهم إلى آياتِ الذّكر الحكيم، حتّى إذا ما بَعُدَ عن بلدته حوالي عشرة كيلو مترات– أو أكثر– عاد أدراجه، ويكرّر ذلك كلّما مرّ بعض من الصحابة، فيتبعهم ليتلوَ عليهم ما قدْ حفظ، ويحفظ عنهم شيئًا آخر، وهكذا تعلم هذا

"عبد الله ذي البجادين"

الصّحابي الجليل القرآن سيرًا على قدميه، وهو المدلّل المُنَعَّم الذي كان يركبُ أفضلَ الجياد، لكن ما كان يمكنه هذا حينذاك لفقرِ الصّحابة وعدم امتلاكهم ما يركبون.

***

طلب منه الصّحابة- رضوان الله عليهم- أن يهاجر معهم إلى مدينة رسول الله ﷺ، لكنّه أبَى أن ينْجو بنفسه تاركًا عمَّه دونما دعوته لدينِ الحقّ، واتّباع سبيل الرشاد؛ لأنّه لم ينسَ فضله عليه، وأراد أن يأخذ بيدِه إلى الله ورسوله.

أخفى إسلامَه حتّى لا يؤذيه قومُه، وحاول مرارًا عرضَ الإسلام على عمّه، لكنّه غضب غضبًا شديدًا، ورفض أن يُسْلِم، حتّى جاء اليومُ الذي لم يَعُد لعبد العزّى طاقة على فراقِ حبيبه المصطفى ﷺ، وذلك بعدَ حوالي ثلاث سنوات من اعتناقه الإسلام، وعندما أعلمَ عمّه بذلك أعماه غضبُه وجَرَّده من جميع أمواله ومتاعِه التي كان قد منحَه إيّاها حتّى يرتدع ويعودَ عن الكفر بأصنامهم.

فلمَّا رأى منه إصرارًا على عدم الرّجوع هبَّ فمزَّق ما كان يلبس من ثياب كي لا يهاجر إلى رسولِ الله ﷺ، حتّى صار شبه عارٍ وكان- رضي الله عنه- شديد الحياء.

ذهبَ إلى أمّه التي ما إنْ رأته على هذه الحال، حتّى قطعت بجادًا لها (كساء غليظ جاف) إلى قطعتيْن، وأعطتهما إيّاه ليسترَ بهما نفسه، فائتزر بواحدة وارتدى واحدة (أي: اتّخذ منهما إزارًا ورداءً كالمُحْرِم للحج أو العمرة).

وبعدها هربَ إلى رسول الله ﷺ، ووصل إلى المسجد في السَّحَر (آخر الليل، قبيل الفجر) نام بالمسجد، وكان- ﷺ- يتفقّد الناس حتّى مرّ بالمسجد فرآه مرتديًا البجادين فأنكره، أي لم يعرفه، فسأله: من أنت؟

فقال: أنا عبد العزى.

وقصَّ قصّته عليه ﷺ، فسمَّاه الرسول الكريم "عبد الله" ولقّبه بذي البجادين.

وقال له: الزمْ بابي.

فلزمَ باب رسول الله ﷺ، وكان إيمانه حقًّا، كان ذاكرًا شاكرًا، ودائمًا ما كان يرفع صوتَه بالقرآن والتسبيح، حتّى أن بعض الناس اتّهموه بالرّياء، لكن شهد له رسول الله- ﷺ- بأنه أوّاه (أي: خاشع متضرِّع).

***

ورُويَ في قصّة استشهاده رضي الله عنه، أنَّه لَمَّا أَسْلَمَ وَلَبِثَ زَمَانا وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَرَجَ مَعَ رسول الله- ﷺ- إِلَى غزوة تَبُوكَ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّه، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ .

فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَرِّمْ دَمَهُ عَلَى الْكُفَّار.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا هَذَا أَرَدْتُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكَ إِذْ خَرَجَت غَازِيا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَخَذَتْكَ الْحُمَّى وَقَتَلَتْكَ، فَأَنْتَ شَهِيدٌ.

فَلَمَّا أَقَامُوا بِتَبُوكَ أَيَّامًا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى وتُوُفِّيَ على إثرها، ومات شهيدًا كنبوءة رسول الله- ﷺ- الذي لا ينطق عن الهوى.

***

وكان ابنُ مسعود يحدّث عن هذا، فقال: قمتُ في جوف الليل في غزوة تبوك، فرأيت شعلةً من نار في ناحيةِ العسكر فاتبعتها، فإذا رسول الله- ﷺ- وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، فإذا هم قدْ حفروا له، ورسول الله- ﷺ- في حفرته، فلمّا دفناه قال: اللّهم إنّي أمسيت عنه راضيًا فارْضَ عنه.

***

كان- ﷺ- يبكيه بكاءً شديدًا، ونام في لحده قبل دفنه لتتنزل رحماتٌ من الله على قبره.

وفي روايةٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود أيضًا قَالَ: وَاللهِ لَكَأَنِّي أَرَى رَسُولَ اللهِ -ﷺ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قَبْرِ عَبْدِ اللهِ ذِي الْبِجَادَيْنِ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، يَقُولُ: «أَدْنِيَا مِنِّي أَخَاكُمَا» (أي: أنزلاه)، فَأَخَذَهُ مِنْ قِبَلِ الْقِبْلَةِ حتّى أَسْنَدَهُ فِي لَحْدِهِ، ثمّ خَرَجَ النَّبِيُّ -ﷺ- وَوَلَّاهُمَا الْعَمَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دَفْنِهِ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ رَافِعًا يَدَيْهِ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ عَنْهُ رَاضِيًا فَارْضَ عَنْهُ» وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا، فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَلَوَدِدْتُ أَنِّي مَكَانَهُ، وَلَقَدْ أَسْلَمْتُ قَبْلَهُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

***

أسلم ذو البجادين في السادسة عشرة من عمره، وتوفي في الثالثة والعشرين، ورغم أنّ قصّة إيمانه تتلخّص في سبع سنوات فقط، إلّا أنه نال شرفَ رتبة رضا الله ورسوله الكريم.

حتّى أنّ عبد الله بن مسعود- وهو مَن هو- تمنّى أن يكون مكانه لينعم بدعاء النّبي- ﷺ- ويُدفن ويُكفّن بيديه الشريفتين، فرضي الله عنهم أجمعين.

***

[٣٨]

الصّحابي الجليلُ
"ثابت بن قيْس"
- رضي الله عنه- وأرضاه

هو ثابت بن قيْس بن شمّاس بن زهير بن مالك الأنصاري الخزرجي، صحابيّ من الأنصار، وهو أحدُ السابقين إلى الإسلام في يثرب (المدينة المنورة) الذين أسلموا على يدِ مصعب بن عمير رضي الله عنه، إذ ما كاد يستمعُ منه إلى آي الذكر الحكيم بصوته الشجي حتى وقعت حلاوة القرآن في قلبه، فشرح اللهُ صدره للإيمان، وأعلى قدره بدخوله الإسلام.

***

اشتُهِر- رضي الله عنه- بالتّقوى والكرم والزّهد والشجاعة، وشدّة حبّه لرسول الله ﷺ، كما عُرف بالإيثار وحبّ الإنفاق في سبيل الله.

كما كان جهيرَ الصّوت خطيبًا بليغًا مُفَوَّهًا، فهو الذي خطبَ بين يدي رسول الله- ﷺ- عند مقدمه المدينة، حيث قال: نمنعُك ممّا نمنع منه أنفسَنا وأولادنا، فما لنا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: الجنة.

ولذلك يُقال عنه خطيبُ الأنصار، وخطيبُ رسول الله ﷺ.

وكذلك في عام الوفود (وهو العامُ التاسع الهجري، وسُمِّي بذلك لكثرة الوفود التي قدمت المدينة المنورة مسلمةً لرسول الله ﷺ، وقد زاد عددُهم عن السبعين وفدًا) لَمَّا قدم وفدُ تميم، تفاخر خطيبهم بأمور، فأمر النبيّ ثابت بن قيس بأنْ يجيبه، فقام وخطبَ خطبة سرّت النبي- ﷺ- والمسلمين.

فأثنى عليه ﷺ، حيث روى أبو هريرة أنّه- ﷺ- قال: "نِعْمَ الرجل ثابت بن قيس بن شماس".

***

لم يشهد- رضي الله عنه- غزوة بدر، ولكنّه شهد غزوة أحد، وجميعَ المشاهد التي بعدها معَ النبي ﷺ، وظلّ يجاهد بعد وفاة النبي حتّى نال الشّهادة في سبيل الله كما بَشَّره بها ﷺ.

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك- رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- (أي: حبس نفسه في بيته ولم يعد يذهب للمسجد)، فَسَأَلَ النَّبِيُّ- ﷺ- سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: "يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ، أَشْتَكَى (أي: هل هو مريض)؟"، قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتا (يقصد أعلاكم صوتًا) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فحضر وأخبره النبي ﷺ أنّه من أهل الجنة، وقال: "أمَا ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة؟" قال: بلى رضيت.

وفي هذه الآية الكريمة (الآية ٢ من سورة الحجرات) بيانٌ لعظمة شأن ومكانة رسول الله ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الشَّمّاس، أَتَى الزِّبَيْرَ بْنَ بَاطَا الْقُرَظِيّ، وَكَانَ الزِّبَيْرُ قَدْ مَنّ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمّاس فِي الْجَاهِلِيّةِ، فإنّهُ كَانَ مَنّ عَلَيْهِ يَوْمَ بُعَاث (وهي آخر المعارك بين الأوس والخزرج بيثرب قبل هجرة النبي- ﷺ- بخمس سنوات، وكانت أشدّها بأسًا ودمويّة، وسُمِّيَت بذلك نسبة إلى المنطقة التي تلاقى بها الحشدان)، أَخَذَهُ فَجَزّ نَاصِيَتَهُ ثُمّ خَلّى سَبِيلَهُ (حيث وقع أسيرًا في يده، فلم يقتله، وإنّما جَزَّ ناصيته، أي قصّ له مقدمة شعره وتركه)، فَجَاءَهُ ثَابِتٌ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِير- في معركة بني قريظة- وأراد أن يرد له دَيْنَه وإحسانه، حيث أنقذه من الموت، فأراد ثابت أن ينقذه من الموت لأنّه كان من الأسرى، فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرّحْمَنِ، هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قَالَ وَهَلْ يَجْهَلُ مِثْلِي مِثْلَك، قَالَ: إِنّي قَدْ أَرَدْتُّ أَنْ أَجْزِيَك بِيَدِك عِنْدِي (أي: فضلك عليَّ)؛ قَالَ: إِنّ الْكَرِيمَ يَجْزِي الْكَرِيمَ. ثُمّ أَتَى ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقَالَ يَا

رَسُولَ اللّٰه: إنّهُ قَدْ كَانَتْ لِلزّبَيْرِ عَلَيّ مِنّةٌ (فضل)، وَقَدْ أَحْبَبْت أَنْ أَجْزِيَهُ بِهَا، فَهَبْ لِي دَمَهُ (أي: اترك أمره لي)، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: هُوَ لَك، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إنّ رَسُولَ اللّٰه ﷺ قَدْ وَهَبَ لِي دَمَك، فَهُوَ لَك (أي: فكّ أسره وحرّره)، قَالَ: شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَد، فَمَا يَصْنَعُ بِالْحَيَاةِ؟ قَالَ: فَأَتَى ثَابِتٌ رَسُولَ اللّٰه ﷺ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُولَ اللّٰه، هَبْ لِي امْرَأَتَهُ وَوَلَدَهُ؟ قَالَ: هُمْ لَك. فَأَتَاهُ، فَقَالَ: قَدْ وَهَبَ لِي رَسُولُ اللّٰه ﷺ أَهْلَك وَوَلَدَك، فَهُمْ لَك (أي: حرَّرهم أيضًا)، قَالَ: أَهْلُ بَيْتٍ بِالْحِجَازِ لَا مَالَ لَهُمْ، فَمَا بَقَاؤُهُمْ عَلَى ذَلِكَ؟

فَأَتَى ثَابِتٌ رَسُولَ اللّٰه ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰه، مَالَهُ، قَالَ: هُوَ لَك، فَأَتَاهُ ثَابِتٌ فَقَالَ: قَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّٰه ﷺ مَالَك، فَهُوَ لَك (وحرَّر ماله) قَالَ: أَيْ ثَابِتُ، مَا فَعَلَ الّذِي كَأَنّ وَجْهَهُ مِرْآةٌ صِينِية يَتَرَاءَى فِيهَا عَذَارَى الْحَيّ، كَعْبُ بْنُ أَسَد؟ قَالَ: قُتِلَ، قَالَ فَمَا فَعَلَ سَيّدُ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي: حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ؟ قَالَ: قُتِلَ، قَالَ فَمَا فَعَلَ مُقَدّمَتُنَا إذَا شَدَدْنَا، وَحَامِيَتُنَا إذَا فَرَرْنَا: عَزّالُ بْنُ سَمَوْأَلَ؟ قَالَ: قُتِلَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ الْمُجْلِسَانِ؟ (يَعْنِي: بَنِي كَعْبِ بْنِ قُرَيْظَةَ، وَبَنِيّ عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ)، قَالَ:

قُتِلُوا. (وكانوا جميعًا من اليهود).. قَالَ: فَأَنّي أَسْأَلُك يَا ثَابِتُ بِيَدِي عِنْدَك، إلّا أَلْحَقْتنِي بِالْقَوْمِ، فَوَاَللّٰه مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ، فَمَا أَنَا بِصَابِرٍ لِلّٰهِ فَتْلَةَ دَلْوٍ نَاضِحٍ (بقدر إفْرَاغَ الدَلْوِ) حَتّى أَلْقَى الْأَحِبّةَ (أي: طلب أن يلحق

بأحبائه من اليهود؛ فلا قوة له على فراقهم والعيش بدونهم)، فَقَدّمَهُ ثَابتٌ إلى الزبير بن العوام فَضَرَبَ عُنُقَهُ، فَلَمّا بَلَغَ أَبَا بَكْرٍ الصّدّيقَ قَوْلُهُ أَلْقَى الْأَحِبّةَ، قَالَ: يَلْقَاهُمْ وَاَللّهِ فِي نَارِ جَهَنّمَ خَالِدًا فِيهَا مُخَلّدًا.

***

قرّر أبو بكر الصدّيق دعوةَ المسلمين لمواجهة أهل الردّة واليمامة ومسيلمة الكذّاب. أتى أنس بن مالك ثابت بن قيس وقد حسر عن فخذيه وهو يتحنّط (أي: كشفهما ليتعطر) فقال: يا عمّ، ما يحبسك أنْ لا تجيء؟ قال: الآن يا ابن أخي. وجعل يتحنّط يعني من الحنوط (من الطِّيب كالمسك والعنبر والكافور).

خرج ثابت مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة، فلمّا التقوا، انكشفوا، فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنّا نقاتل مع رسول الله ﷺ، ثمّ حفرَ كلّ واحدٍ منهما له حفرة، فثبتَا وقاتلَا حتّى قُتلَا.

استشهد ثابت بن قيس- رضي الله عنه- يومَ اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

ولَمَّا استُشْهِد رضي الله عنه، كان عليه يومئذ درعٌ له نفيسة، فمرّ به رجل من المُسلمين فأخذها، وبينما رجلٌ من المسلمين نائم، إذ أتاه ثابت في منامه فقال له: إنّي أوصيك بوصية، فإيّاك أن تقول هذا حلمٌ فتضيّعه، إني لَمَّا قُتِلتُ

"ثابت بن قيس"

أمس مرّ بي رجلٌ من المسلمين، فأخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس، وعندَ خبائه فرس يستنُّ في طِوَله (أي: يتحرك في طول الحبل المربوط به)، وقد كفا على الدّرع بُرمة (أي: غَطَّاه بقِدْر)، وفوق البرمة رَحْل (ما يوضَع على ظهر البعير للركوب)، فأتِ خالدًا فَمُرْه أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمتَ المدينة على خليفة رسول الله -ﷺ- (يعني: أبا بكر الصديق رضي الله عنه)، فقل له إنّ عليّ من الدَّيْن كذا وكذا، وفلان مِن رقيق عتيق (أي: كان له عبيد فأوصى بعِتْقِهم).

فأتى الرجل خالدًا فأخبره، فبعثَ إلى الدرع فأتى به، وحدث أبا بكر- رضي الله عنه- برؤياه، فأجاز وصيته بعد موته.

قالوا: ولا نعلم أحدًا أُجيزَت وصيتُه بعد موته غير ثابت بن قيس رضي الله عنه، وهذا في حدّ ذاته تكريم من الله له- رضي الله عنه- وأرضاه.

❊❊❊

[٣٩]

الصّحابي الجليلُ
"عبد اللّٰه بن رواحة"
– رضي اللّٰه عنه – وأرضاه

هو الصّحابي الجليل عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي، كان عظيمَ القدر في الجاهلية والإسلام.

كان– رضي الله عنه– أحدَ القلائل في عصره الذين يحسنون القراءة والكتابة، ويتمتّع بإنشاد الشّعر، والذي سخّره– فيما بعد– للدفاع عن رسول الله ﷺ؛ حيث كان شاعرًا لبيبًا، وكان يلقّب، هو وحسان بن ثابت وكعب بن مالك، بشعراء رسول الله الذين كانوا يتولّون الرّد على مَن يهْجو النبي والمسلمين.

ومِن شعره في رسول الله ﷺ:

إنّي تفرَّسْتُ فيـــكَ الخيرَ أعرفه ... واللهُ يعلم أن ما خانني البصرُ
أنتَ النبي ومَــنْ يُحْرَم شفاعته ... يومَ الحساب فقد أزرى به القَدَرُ
فثبَّتَ اللهُ ما آتـــاكَ من حُسْــن ... تثبيت موسى ونصر كالذي نصروا

(أزْرَى: تهاون)

***

"عبد الله بن رواحة"

كان عبد الله بن رواحة من السّابقين إلى الإسلام من الأنصار، وَشَهِدَ بيعة الْعَقَبَةَ الثانية مع السبعين من الأنصار، واختاره- ﷺ- ليكون أحدَ نقباء الأنصار الاثنى عشر في بيعة العقبة الثانية.

كما كان قائدًا عسكريًّا شجاعًا، وفارسًا مغوارًا، شارك في غزوات النبي-ﷺ- حيث خاض معه غزوة بدر، وشارك في غزوات: أحد والخندق وخيبر وصلح الحديبية.

***

وكان- رضي الله عنه- رجلًا صالحًا تقيًّا سبّاقًا للخير والفضل، راعيًا للمَساكين، كافلًا لليتامى، مواليًا لأهل الإيمان، معاديًا أهل الكفر، لا تأخذه في الله لومة لائم، مجاهدًا في سبيل الله.

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ- ﷺ- فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، حتّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا مِنَّا أَحَدٌ صَائِمٌ، إِلّا رَسُولُ اللهِ- ﷺ- وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ.

ومن قوله في رسول الله ﷺ:

وَفِينَا رَسُــولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَــهُ إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الهُــدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَــاتٌ أَنَّ مَــا قَــالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَــافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِــهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ.

وعندما نزل قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ حزن بن رواحة- رضي الله عنه- وجزع، وكذا كانَ موقف حسان بن ثابت وكعب بن مالك، حيث جاء ثلاثتهم رسولَ الله- ﷺ- بعد نزول الآية الكريمة وهُم يبكون، فتَلَا النبي: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ ففرحوا واستبشروا.

***

كانتْ تجمعُه- رضي الله عنه- بأبي الدرداء أواصرُ صداقة ومحبَّة في الجاهليَّة، ولَمَّا جاء الإسلامُ اعتنقه عبدُ الله بن رواحة، وأعرض عنه أبو الدّرداء، كان يأمل له الخيرَ كما يأمله لنفسِه، فقد كان ابن رواحة نِعْمَ الأخ والصديق.

حتى كان يوم، دخَل بيتَ أبي الدرداء وهو غائب، فحطَّم صنَمه، ولَمَّا عاد أبو الدرداء ووجَدَ ذلك، عرَف أنَّه لو كان ذا نفْعٍ لدافَع عن نفسه، فاغتسل ولبِسَ حُلَّته، وذهبَ إلى رسولِ الله ﷺ وأسلم بين يديه.

وهكذا احتلَّ ابنُ رواحة مكانةً عظيمة في نفْس أبي الدرداء، فكان دائمَ الذِّكْر له ولفضله عليه، وبأنَّه كان السببَ في هِدايته وإسلامه، وأثِر عنه قولُه: "أعوذُ بالله أن يأتي عليَّ يوم لا أذكُر فيه عبدَ الله بن رواحة"

***

كان ابنُ رواحة شديدَ التقوى والورع، فعن سليمان بن يَسار: أنَّ النبي -ﷺ- كان يبعثه إلى خيبر ليُقدِّر قيمةَ الخَراج لليهود، فجَمَعوا حُليًّا مِن نسائِهم، فقالوا: هذا لك، وخَفِّف عنَّا (أي: عرضوا عليه الرّشوة في مقابل تخفيفه قيمة خراجهم)، قال: يا معشرَ يهود، والله إنَّكم لَمِن أبغض خلْق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أَحيفَ عليكم (أي: أن كرهي لكم لا يعني أنْ أظلمكم)، والرِّشْوة سُحتٌ (أي: مكسب حرام أو غير مشروع)، فقالوا: بهذا قامتِ السماء والأرض. (أي: بالعدل والتقوى).

***

كان ابنُ رواحة يُقاتل أعداءَ الإسلام بسَيفه ولسانه؛ فعن أنسٍ قال: دخَل النبي ﷺ مكَّةَ في عمرة القضاء، وابن رواحة بين يديه يقول:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
اليَوْمَ نَضْرِبكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

(الهام: الرأس، مقيل: موضع نومه أو راحته أو قيلولته)

فقال عمرُ: يا ابن رَواحة، في حرَم الله وبين يدي رسولِ الله- ﷺ- تقول الشِّعْر؟ فقال النبيُّ- ﷺ-: (خلِّه يا عمر (أي: اتركه)، فوالذي نفْسي بيده، لَكَلامُه عليهم أشدُّ مِن وقْع النَّبْل).

وظلَّ هذا البطلُ شوكةً في ظهر المشركين، إلى أنْ جاء اليوم الذي كان ينتظره، يوم أصبح شهيد مؤتة.

وفي تلك الغزوة الحامية الوطيس، كان عبد الله بن رواحة هو القائدَ الثالث لجيش المسلمين؛ حيث ولّى رسول الله ثلاثةً على قيادة الجيش؛ الأوّل زيد بن حارثة، والثاني جعفر بن أبي طالب، والثالث عبد الله بن رواحة؛ لمواجهة الروم، وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف جندي في مواجهة مائتي ألفٍ من الروم، ونتيجة لهذا التفوّق العددي واجه المسلمون يوم «مؤتة» الموتَ بتَحَدٍّ واستبسال.

أخَذَ ابنُ رواحة الرايةَ بعدَ مقتل زيد بن حارثة (القائد الأول) وجعفر بن أبي طالب (القائد الثاني)، وأخذ يقوم بدوره على الوجه الأكمل في القتال، وكذلك في بثّ رُوح النصر والفِداء في الجيش، قائلًا: يا قوم، إنَّ الذي تَكْرهون لَلَّذي خرجتُم له تطلبون- الشهادة-، وما نُقاتل الناس بعدد ولا قُوَّة ولا كثرة، إنَّما نقاتلهم بهذا الدِّين الذي أكْرَمَنا الله به، فانطلقوا فإنَّما هي إحدى الحُسنيَيْن؛ إمّا ظهور (أي: نصر)، وإمّا شهادة.

وظلّ يقاتل بشجاعةٍ وثباتٍ حتّى نال الشهادة مجاهدًا في سبيل الله.

[٤٠]

الصّحابي الجليلُ
"كعب بن مالك"
- رضي الله عنه - وأرضاه

هو ابنُ أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي الأنصاري، أسلم في عهد النبي ﷺ، فقد كان من أوائل الأنصار في المدينة، وكان أحدَ السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة، لكنّه لم يشهد غزوة بدر، وروى عن النبي - ﷺ - ما يقارب الثلاثين حديثًا.

***

عندما أُشِيع مقتل النبي في غزوة أحد، كان كعب أولَ مَن عرف أن النبي سالم، فقال: "عرفتُ عينيه تزهران من تحت المغفر"، ولم يتمالك نفسه من الفرَح، فراح ينادي بأعلى صوته: "يا معشرَ المسلمين، أبشروا، هذا رسولُ الله ﷺ"، فأشار إليه الرسول - ﷺ - أنْ أنصت .

***

كان - رضي الله عنه - أحدَ شعراء الرسول الثلاثة وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة الذين يذودون عن الدّين بكلماتهم، كما يضحون بأرواحهم فداءً له، فكان مِن طليعة شعراء العصر الإسلامي الذين حملوا عبء الدفاع

بشِعْرهم عن الإسلام، وقد عبّر بشعره عنْ أسمى المعاني الإنسانية، حيث جمعَ بين قوّة السّنان، وفصاحة اللّسان وغزارة الإيمان ورقة الوجدان، وقد كان من أهل الصّفة.

وكان النّبي- ﷺ- يستمعُ إلى شعره وهو ينشد، ويرتاح إلى ذلك؛ بل ويطلبُ إليه أن ينشده، يستعين بسماعِه على السفر، فقال ابن سيرين: بينما الرّسول- ﷺ- في سفره قد شنقَ ناقته بزمامها، حتّى وضعت رأسَها عند مقدمة الرحل .إذْ قال ﷺ: يا كعب بن مالك، احْد بنا (أي: سِرْ بنا منشدًا)، فقال كعب :

قضينا من تهامة كلّ حق وخيبر ثمّ أجممنا السيوفا

نخيّرها ولو نطقت لقالت قواطعهنّ دوسًا أو ثقيفا

فقال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لهي أشدّ عليهم من رشْقِ النّبل.

***

كان كعب بن مالك الأنصاري، وصاحباه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، هُم الثلاثة الذين خُلِّفُوا عن غزوة تبوك بغيرِ عذْر شرعي، وإليكم القصة على لسانِ كعب ذاته، والتي يتجلّى فيها صدقُه وشجاعته في قول الحقّ والثبات عليه:

يقول: لم أتخلّف عنْ رسول الله في غزوة، حتّى كانت تبوك، إلّا بدرًا. وما أحبّ أني شهدتها، وفاتتني بيعتي ليلة العقبة، وكلّما أراد رسول الله غزوة إلّا ورّى بغيرها (أي: كان- ﷺ- يقصد التمويه؛ فإذا عزم على غزوة ما، لم يفصح بها). فأراد في غزوة تبوك أن يتأهّب الناس أهبة، وكنتُ أيسرَ ما كنت (أي: كان ميسورَ الحال غير محتاج)، وأنا في ذلك أصْغو إلى الظّلال وطيب الثمار (أي: منشغلًا بهم)، فلم أزلْ كذلك حتّى خرج.

فقلتُ: أنطلقُ غدًا، فأشتري جهازي، ثمّ ألحق بهم.

فانطلقتُ إلى السوق، فعسر علي، فرجعت، فقلت: أرجع غدًا. فلم أزل حتّى التبسَ بي الذنب (أي: تمكّن منه)، وتخلّيت، فجعلت أمشي في أسواق المدينة فيُحزنني أنّي لا أرى إلّا مغموصًا عليه (أي: محتقرًا) في النّفاق، أو ضعيفًا. (أي: أنّه وجد نفسه وحيدًا في المدينة، ولم يتخلَّف عن رسول الله غيره من الأسْوياء، فكان هناك العجائز والنساء والأطفال والمنافقين). وكان جميعُ مَن تخلّف عن رسول الله بضعة وثمانين رجلًا. ولمّا بلغ النبي تبوك، ذَكَرَني، وقال: ما فعلَ كعب؟ فقال رجلٌ من قومي: خلّفه يا نبي الله بُرْدَاه والنّظرُ في عطفيه (مثنى عِطَاف، وهو رداءٌ غليظ من الصوف لاتِّقاء البرد) (أي: تخلَّف عن الجهاد بسبب الثراء وأمور الدنيا).

فقال معاذ: بئسَ ما قلت! والله ما نعلم إلّا خيرًا.

إلى أنْ قال: فلمّا رآني، تبسَّمَ تبسُّم المُغْضَب، وقال: ألم تكنِ ابتعت ظهرَك (أي: دابَّتك)؟

قلتُ: بلى.

قال: فما خلَّفك؟ قلت: والله لو بينَ يدي أحدٍ غيرك جلستُ لخرجت من سخطِه عليّ بعذر، لقد أوتيتُ جدلًا (أي أنه لو كان بين يدي أحد غير رسول الله لكذب عليه، فهو حلو الكلام، يمكنه الجدال والإقناع)، ولكنْ قد علمت يا نبيَّ الله أنّي أخبرك اليوم بقول تجدُ عليّ فيه، وهو حقّ، فإنّي أرجو فيه عقبى الله.

إلى أنْ قال: والله ما كنت قطّ أيسرَ ولا أخفّ حاذًا منّي حين تخلفت عنك.

قال: أمّا هذا فقد صدقكم، قمْ حتّى يقضي الله فيك، فقمت.

(كان النبي قد استمعَ لأعذار الكثيرين من قبله ولم يصدقهم، حتّى التمس في كعب الصدق وشهد له).

(الحاذ: المالُ والعيال، يقصد أنه كان ميسورًا لأقصى درجة وليس ضيق ذات اليد هو ما منعه).

إلى أنْ قال: ونهى رسولُ الله الناسَ عن كلامنا أيّها الثلاثة (أي: أمرَ الصحابة بمقاطعتهم).

فجعلتُ أخرج إلى السوق، فلا يكلّمني أحد، وتنكّر لنا الناس، حتّى ما هم بالذين نعرف، وتنكّرت لنا الحيطان والأرض. وكنت أطوف، وآتي المسجد، فأدخل، وآتي النبي، فأسلِّم عليه، فأقول: هل حرّك شفتيه بالسلام؟

واستكان صاحباي (أي استسلما للحزن والبكاء في بيتيهما) (مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي، رضي الله عنهما) فجعلا يبكيان الليلَ والنهار لا يطلعان رءوسهما، فبينما أنا أطوفُ في السوق إذا بنصراني جاءَ بطعام، يقول: مَن يدلّ على كعب؟ فدلّوه علي، فأتاني بصحيفة (رسالة) من ملك غسان، فإذا فيها:

"أمّا بعد... فإنّه بلغني أنّ صاحبك قد جفاك وأقصاك، ولست بدار مضيعة ولا هوان، فالحقْ بنا نواسيك".. فسجّرت لها التنّور (سَجَّرَ التَّنُّور: أي ملأه وقودًا وأحماه)، وأحرقتها.

إلى أنْ قال: إذْ سمعت نداءً من ذروة سلع (قمّة جبل معين): أبشرْ يا كعب بن مالك.

فخررتُ ساجدًا، ثمّ جاء رجلٌ على فرس يبشّرني، فكان الصوت أسرع من فرسِه (يقصد صوت الرجل الذي بشَّرَه من أعلى الجبل وصلَه أسرعَ من بشارة الفارس)، فأعطيتُه ثوبي بشارة، ولبست غيرهما.

ونزلتْ توبتُنا على النبي ثلث الليل.

فقالت أمّ سلمة: يا نبيّ الله، ألا نبشّر كعبًا؟ قال: إذًا يحطّمكم الناس، ويمنعونكم النوم.

قال: فانطلقتُ إلى النبي، فإذا هو جالسٌ في المسجد وحوله المسلمون، وهو يستنيرُ كاستنارة القمر، فقال: أبشرْ يا كعب بخيرِ يومٍ أتى عليك، ثمّ تلا عليهم:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ سورة التوبة: الآيات ١١٧ – ١١٨.

(سمّيت غزوة تبوك بالعُسْرَة لصعوبةِ الظّروف التي صحبتها، وما واجهه المسلمون من المشاكل العظيمة).

وفينا نزلتْ أيضًا: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

فقلت: يا نبيّ الله، إنّ من توبتي ألّا أحدث إلّا صدقًا، وأنْ أنخلع من مالي كله صدقة؟ فقال: أمسكْ عليك بعضَ مالك، فهو خيرٌ لك.. (إلى نهاية الحديث).

وفي لفظ: فقام إليّ طلحة يهرول، حتّى صافحني وهنّأني، فكان لا ينساها لطلحة.

***

وعندما انتقل الرسولُ -ﷺ- إلى الملأ الأعلى كان نبأ وفاته فجيعةً كبرى لكعب، ولغيرِه من المسلمين، وأثارت قريحته فقال:

فجعنا بخيرِ الناس حيًّا وميتًا وأدناه بربّ البرية مقعدا

وزفرتْ عيناه الدّمعَ الساخن، بل كان يستزيدها بإنشاده:

يا عينُ فابكِ بدمعٍ ذرى لخيرِ البريةِ والمصطفى

وابْكي الرسولَ وحقّ البكاء عليه لدى الحرب عند اللقا

***

تُوُفِّي كعب بن مالك في زمن معاوية سنة خمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين، وهو ابنُ سبعٍ وسبعين، وكان قد عميَ وذهبَ بصرُه في آخر عمره.

***

[٤١]

الصّحابي الجليلُ
"جُلَيْبيب"
- رضي الله عنه - وأرضاه

كان - رضي الله عنه - رجلًا من أصحاب النبي ﷺ، وكان في وجهه دمامة، وكان فقيرًا، لكنْ رفع اللهُ نسبَه بالإسلام، كما كان يكثر الجلوسَ عند النبي ﷺ.

قال له النبي - ﷺ - ذات يوم:

يا جُليبيب، ألا تتزوج؟

فقال: يا رسولَ الله، ومَن يزوّجني يا رسول الله؟

قال رسولُ الله ﷺ: أنا أزوجكَ يا جُليبيب.

فالتفتَ جُليبيب إلى الرسول، فقال: إذًا تجدُني كاسدًا يا رسول الله.

فقال الرّسولُ ﷺ: غير أنّك عند الله لست بكاسد.

(الكاسد: الذي لا شراءَ فيه ولا بيع، ولا يرغب أحدٌ باقتنائه كالبضاعة الكاسدة).

ثمّ لم يزلِ النّبي - ﷺ - يتحين الفرص حتّى يزوج جُليبيبًا، حتى جاء يومٌ من الأيام، فإذا برجلٍ من الأنصار له ابنة، قال له النبي ﷺ: زوّجني ابنتك.

قال: نعم وكرامة يا رسولَ الله ونعمة عين.

فقال ﷺ: إنّي لست أريدها لنفسي.

رَدَّ الأب: لِمَنْ يا رسول الله؟

قال ﷺ: أزوجها جُليبيبًا.

قال الرّجل: يا رسولَ الله، تزوّجها لجُليبيب؟ يا رسول الله، انتظر حتّى أستأمرَ أمَها (أي: أستشيرها).

ثمّ مضى إلى أمّها، وقال لها :إنّ النبي- ﷺ- يخطب إليك ابنتك.

قالت: نعم ونعمين برسولِ الله ﷺ، ومَن يردّ النبي ﷺ؟!

فقال: إنّه لا يريدها لنفسه، بل لجُلَيْبِيب.

قالت: لجُليبيب؟! لا لعمرُ الله لا أزوّج جُليبيبًا وقد منعناها فلانًا وفلانًا. (أي: تقدم لها مَنْ هم أفضل منه ورفضاهم).

فاغتمَّ أبوها لذلك، ثمّ قام ليأتي النبي ﷺ، فصاحتِ الفتاة من خِدْرِها، وقالت لأبويها: مَن خطبني إليكما؟ قال الأب: خطبَك رسولُ الله- ﷺ-. قالت: أفَتَرُدَّان على رسول الله- ﷺ- أمرَه؟! ادفعاني إلى رسول الله؛ فإنّه لن يضيّعني.

ذهب الأبُ إلى النبي- ﷺ- وقال: يا رسول الله، شأنك بها فزوّجها جليبيبًا.

فدعَا النبي – ﷺ– جُليبيبًا ثمّ زوّجه إيّاها، ورفع كفّيه الشّريفتين وقال:

اللّهم صبّ عليهما الخير صبًّا، ولا تجعل عيشهما كدًّا كدًّا.

ثمّ لم يمضِ على زواجهما أيام، حتّى خرج النبي – ﷺ– مع أصحابه في غزوة، وخرج معه جُليبيب. فلمّا انتهى القتال، اجتمع الناسُ وبدأوا يتفقّدون بعضهم بعضًا، فسألهم النبي ﷺ:

هل تفقدون من أحد؟

قالوا: نعم يا رسولَ الله، نفقد فلانًا وفلانًا.

وكان كلّ واحد منهم فقدَ تاجرًا من التجار، أو فقد ابنَ عمّ، أو أخًا...

فقال ﷺ: نعم، ومن تفقدون؟

قالوا: هؤلاء الذين فقدناهم يا رسول الله.

فقال ﷺ: ولكنّي أفقد جُليبيبًا، فقوموا نلتمس خَبَرَه.

فقاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال وطلبوه مع القتلى، ثمّ مشوا، فوجدوه في مكانٍ قريب إلى جنبِ سبعة من المشركين كان قد قتلهم، ثمّ غلبته الجراح فمات .فوقفَ النبي – ﷺ– على جسده المقطّع وقال: "قتلتَهم ثمّ قتلوك، أنت منّي وأنا منك، أنت منّي وأنا منك". ثمّ تربّع – ﷺ– جالسًا بجانب جسده، وحمله ووضعَه على ساعديه– ﷺ– وأمرهم أن يحفروا له قبرًا.

"جُلَيْبِيب"

قال أنس: فمكثنا والله نحفرُ القبر، وجُليبيب ما له فراشٌ غير ساعد النبي ﷺ.

وقال أيضًا: عدْنا إلى المدينة، وما كادت تنتهي عدّتها حتّى تسابقَ إليها الرجالُ يخطبونها .(يقصد: أيِّم أو أرملة جليبيب، كاستجابةٍ لدعوة رسول الله ﷺ).

***

[٤٢]

الصّحابي الجليلُ
"سلمان الفارسي"
- رضي الله عنه- وأرضاه

كان رجلًا فارسيًّا من أهل أصبهان، من قرية بها، وكان أبوه دهقانها (أي: حاكمها أو رئيسها).

كان سلمان أحبَّ خلقِ الله إليه، لدرجة أنْ حبسه في بيته كما تحبس الجارية، فاجتهدَ في المجوسية حتّى كان قاطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة.

وكان لأبيه ضيْعة عظيمة، فشغلَ في بنيان له يومًا، فقال له: "يا بني، إني قدْ شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهبْ فاطلعها"، وأمره ببعض ما يريد.

ثمّ قال: "لا تحتبسْ علي، فإنّك إن احتبستَ عليّ كنت أهمّ إليّ من ضيعتي، وشغلتني عن كلّ شيء من أمري".

فخرجَ يريد ضيعتَه، فمرّ بكنيسة من كنائس النصارى، فسمع أصواتهم فيها هم يصلّون، فدخل إليهم ينظرُ ما يصنعون، فلمّا رآهم أعجبته صلواتهم، ورغبَ في أمرهم، وقال: "هذا- والله- خيرٌ من الدّين الذي نحن عليه"، وما

تركَهم حتّى غربت الشمس، وترك ضيعةَ أبيه ولم يأتها، فقال لهم: "أين أصلُ هذا الدين؟"، قالوا: "بالشام".

ثمّ رجع إلى أبيه الذي بعثَ في طلبه وشغله عن عمله كله، فلمّا جاءه قال: "أي بني، أين كنت؟ ألم أكنْ عهدت إليك ما عهدت؟"، قال: "مررتُ بناس يصلّون في كنيسةٍ لهم، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتّى غربت الشمس".

قال: "أي بني، ليسَ في ذلك الدين خير، دينك ودينُ آبائك خير منه".

قال: "كلّا والله، إنه لخير من ديننا".

فخافَه، فجعل في رجله قيدًا، ثمّ حبسَه في بيته، وبعث إلى النصارى كي يخبروه إذا قدِمَ عليهم ركبٌ من الشام، فأخبروه بهم، فقال: "إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة، فأخبروني".

ففعلوا، فألقى الحديدَ من رجليه، ثمّ خرجَ معهم حتّى قدم الشام، فلمّا قدمها، سألَ عن أفضلِ أهل هذا الدين، فَدَلُّوه على الأسقف في الكنيسة، فجاءه، وقال: "إنّي قد رغبتُ في هذا الدين، وأحببتُ أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلّم منك، وأصلّي معك".

وافق، فدخلَ معه، وكان رجلَ سوءٍ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئًا اكتنزه لنفسه، ولم يعطِه المساكين، حتّى جمع سبع قلالٍ من ذهب وورق، فأبغضه بُغضًا شديدًا لَمَا رآه يصنع، حتّى مات، فاجتمعَ إليه النصارى ليدفنوه، فأخبرهم بما علمه عنه، وأراهم موضعَ كنْزه، فلمّا رأوا القلال المملوءة، قالوا: "والله لا ندفنُه أبدًا". فصلبوه ورموه بالحجارة، ثمّ جاءوا برجلٍ جعلوه مكانه.

فما رأى رجلًا أفضلَ منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلًا ونهارًا، فما أحبّ شيئًا قطّ قبله حبّه، ولم يزل معه حتّى حضرته الوفاة، فقال: "يا فلان، قد حضرَك ما ترى من أمر الله، وإنّي والله ما أحببت شيئًا قطّ حبّك، فماذا تأمرني، وإلى مَن توصيني؟"، قال له: "يا بني- والله- ما أعلمه إلّا رجلًا بالموصل فائتِه، فإنّك ستجده على مثل حالي".

فلمّا مات، لحقَ بالموصل، فأتى ذلك الرجل، فوجدَه على مثل حال الآخر مِن الاجتهاد والزهد، فذكر له أمره فرحّب به، فأقام عنده، حتّى حضرته الوفاة، فسأله عن وصيّته كما كان آنفًا، فقال: "والله ما أعلم، أي بني، إلّا رجلًا بنصيبين (منطقة، تقع الآن بتركيا)".

فلمّا دفنوه، لحقَ به، فأقام عنده على مثل حالهما حتّى حضره الموت، فأوصى به إلى رجلٍ من أهل عمورية بالروم، فأتاه فوجده على مثل حالهما، واكتسب حتّى كان له غنيمة وبقيرات، ثمّ احتضر، فسأله إلى مَن يوصي به؟ قال: "أي بني، والله ما أعلمه بقي أحدٌ على مثل ما كنّا عليه آمرُك أن تأتيه، ولكن قد أظلّك زمانُ نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرّتين إلى أرضٍ سبخة ذات نخل، وإنّ فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتمُ النبوة، يأكل الهدية ولا يأكلُ الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل".

فلمّا واروه (دفنوه)، أقام حتّى مرّ به رجالٌ من تجار العرب من كلب، فقال لهم: "تحملوني إلى أرضِ العرب وأعطيكم غنيمتي وبقراتي هذه؟"، قالوا: "نعم". فأعطاهم إيّاها وحملوه، حتّى إذا جاءوا به وادي القرى ظلموه، فباعوه عبدًا من رجلٍ يهودي بوادي القرى، فرأى النخل، وطمع أن يكون البلد الذي نعت له صاحبه.

حتّى قدمَ رجلٌ من بني قريظة وادي القرى، فابتاعَه من صاحبه، فخرج به حتّى قدمَا المدينة، وما إن رآها حتّى عرفها، فأقام في رق (عبودية)، حتّى قدمَ رسول الله قباء، وهو يعملُ لصاحبه في نخلة له، فجاءه ابن عمّ له، وأخبره أنّ القوم مجتمعون الآن في قباء على رجلٍ جاء من مكة يزعمون أنّه

نبي، وما أن سمعها حتّى أخذته الرّعدة، وكاد يسقط على صاحبه، ونزل يقول: "ما هذا الخبر؟"

فرفعَ مولاه يدَه فلكمه لكمةً شديدة، وقال: "ما لك ولهذا؟ أقبلْ على عملك"، فقال: "لا شيء؛ إنّما سمعت خبرًا فأحببت أن أعلمه".

ولمّا أمسى، كان عنده شيء من طعام، حملَه وذهب إلى رسول الله وهو بقباء، فقال له: "بلغني أنّك رجلٌ صالح، وأنّ معك أصحابًا لك غرباء، وقد كانَ عندي شيء من الصّدقة فرأيتكم أحقّ مَن بهذه البلاد، فهاك هذا، فكلْ منه" فأمسك، وقال لأصحابه: "كلوا". فقال في نفسه: "هذه خلةٌ ممّا وصف لي صاحبي".

ثمّ رجع، وتحوّل رسولُ الله إلى المدينة، فجمع شيئًا كان عنده ثمّ جاءه به، فقال: "إنّي قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية"، فأكل رسولُ الله وأكل أصحابُه، فقال: "هذه خلتان".

ثمّ جاء رسول الله، وهو يتبع جنازة، فاستدارَ ينظر إلى ظهره ليرى الخاتم الذي وصف، فلمّا رآه النبي استدبره، عرف أنّه يستثبت في شيء وصف له، فألقى رداءه عنْ ظهره، فنظرَ إلى الخاتم فعرفه، فانكبّ عليه يقبّله ويبكي، وقصَّ عليه حديثه، فأعجب رسول الله أن يسمع ذلك أصحابه.

ثمّ شغل سلمان الرقّ حتّى فاتَه مع رسول الله بدر وأحد؛ لأنّ سيده كان يمنعُه من الذّهاب إلى رسول الله، ثمّ قال رسول الله: "كاتب يا سلمان" أي: اشترِ نفسَك من مولاك، لتصبح حرًّا.

فكاتبَ صاحبه على ثلاثِ مائة نخلة يُحييها له بالفقير (أي: ثلاثمائة نخلة جديدة تغرس في أرض جديدة)، وبأربعين أوقية من الذهب.

فأوصى النبي أصحابَه أن يعينوه ليشتري نفسه من ذلك اليهودي الطماع الجشع، فأعانوه بالنخل، الرّجل بثلاثين ودية (النخلة الصغيرة)، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، حتّى اجتمعت ثلاث مائة ودية.

فقال: "اذهبْ يا سلمان، فافْقرْ لها (أي احفرْ لها)، فإذا فرغت فائتِني أكون أنا أضعُها بيدي"؛ لأنّ صاحبه اشترطَ عليه ألّا تموت منهنّ نخلة واحدة، فذهب، ففقَرَ لها، وأعانه أصحابه، حتّى إذا فرغَ منها جاءه وأخبره، فخرج معه- ﷺ- إليها يقرب له الودي، ويضعُه بيده الشريفة ويدْعو له بالبركة.

فما ماتتْ منها ودية واحدة، فأدّى النخل، وبقيَ عليه المال، فأُتِي رسول الله بمثل بيضة دجاجة من ذهبٍ من بعض المغازي، فقال: "ما فعل الفارسي المُكاتب؟"، فجيء به، فقال: "خذْها، فأدِّ بها ما عليك".

قال: "وأين تقعُ هذه يا رسول الله ممّا علي؟"، قال: "خذها فإنّ الله سيؤدي بها عنك".

فأخذها، فوزنَ لهم منها أربعينَ أوقية، وأوفاهم حقّهم وعُتِق، فشهد مع رسولِ الله الخندق حُرًّا، ثمّ لم يفتْه معه مشهد.

***

وبعد وفاة النبي، شهد سلمان الفتحَ الإسلامي لفارس، وتولى إمارة المدائن في خلافة عمر بن الخطاب، إلى أنْ توفّي في خلافة عثمان بن عفان.

[تمّ بحمد الله]

دار البشير للثقافة والعلوم

في محراب صحابي

مجموعةٌ من مناقبِ بعض الصّحابة, مدعومةً بمواقفَ ربّما أدركناها ثمّ قام الزمان بمهمّته فأنسانَا إيّاها, وربّما لم تصادف انتباهنا من قبل.

يهدف هذا العملُ إلى التّذكير بمُعتنقي ديننا الحنيف الأُوَل, وبطولاتهم وجهادهم, وبذلهم أرواحهم فداءً لدين الحقّ، ونشره ونصرته.

هو مجرّد طرقٍ لباب المحراب ليثيرَ فضولكم للاستزادة والاغتراف والغوص في بحور سِيَرِهم، وما أسلم الغرق آنذاك!

هو اقتفاءٌ لأثر النبي- صلّى الله عليه وسلم-, وجميل تربيته وعظيم خلقه الذي فاض على خلق صحابته ، رضوان الله تبارك وتعالى عنهم.

هذه نِيَّتِي, وهذا نتاجُ حثيث سعيي.. فما كان مِن تقصير فمِن نفسي ، وما أكثرَ زلّاتها! وما كان من توفيق فمِن فيض عطايا الوهّاب.

دمتم مطمئنين.

د.نشوة أحمد علي

طبيبة بيطرية وأخصائية تحاليل , ومدققة لغوية , ومقدمة برنامج "ومضاتٌ ثلاث" , والذي يبث من خلال قناتي على اليوتيوب .

- أكتبُ القصص والخواطر والرسائل.

- قمتُ بالمشاركة في العديد من الكتب الورقية والإلكترونية بمجموعة من القصص القصيرة ، وهذا كتابي المستقلّ الأول ، والله ولي التوفيق.

تصميم الغلاف : أحمد الصباغ

ISBN 978-977-278-840-8

9 789772 788408

دار البشير

01012355714 - 01152806533

elbasheernashr@gmail.com

elbasheer.marketing@gmail.com

www.darelbasheer.net